

روايات مصرية الجيب



49

أسطورة العشيرة

ما وراء الطبيعة



ما وراء الطبيعة

روايات تدبس الانفس
من شرط القموض والرعب والافارة

روايات مصرية الجيب

٤٦١٠٠٠٢

أسطورة العشرة

القانون الأول : لا أحد سوانا ... لأنه
لا أحد يقبل أن يكون منا ..

القانون الثاني : ما يعرفونه لا يعيننا أن
نعرفه .. وما نعرفه لا يصدقه أحد منهم ..

القانون الثالث : كل حياتهم لنا .. ودمهم
مستباح .. لكننا لا نبغى أموالهم
لأنها منهم ..



د. أحمد خالد توفيق



الضمن في مصر ٢٠٠
ومايعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

مطبعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
ت : ٨٤٥٠ - ٨٤٥٠ - ٨٤٥٠
فاكس : ٨٤٥٠ - ٨٤٥٠ - ٨٤٥٠

العدد القادم :
أسطورة
في جانب النجوم

49

روايات مصرية للجيب

ماورا، الطبيعة

أسطورة المشيرة

روايات مصرية للجيب

ماورا، الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

مصنّف مصرى مائة فى المائة
لا تشوبه شبه الترجمة أو الاقتباس
أو النقل عن أية قصص أوربية .

إشراف

الأستاذ/ محمدى مصطفى

جميع الحقوق محفوظة للناشر
وكل اقتباس أو تقليد أو تزيف
أو إعادة طبع بالتزوير يعرض
المرتكب للمساءلة القانونية .

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع - المطابع ١٠، ٨ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية
بالعباسية - منال البوع ١٠، ١٦ شارع كامل صدقى الفجالة - ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى ووكسى
مصر الجديدة - القاهرة ت : ٦٨٢٣٧٩٢ - ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٥٨٦١٩٧ فاكس - 202/2596650 ج.م.ع

أسطورة العشيرة

بقلم :

د. أحمد خالد توفيق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

٢٥٨٦١٩٧ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٥٩٠٨٤٥٥

فاكس : ٢٨٣٧٠٠٢

مقدمة

عن ما وراء الطبيعة أكتب ..

عن الأشياء التي لا ترى ولا تسمع ولا تشم ولا تحس ..
وربما لا تعقل كذلك ..

عن الأشياء التي تتحرك خارج مركز الإبصار ، والتي
تدير وجهك نحوها لتجد أنها ليست هنالك .. عن الإحساس
الغامض فى مؤخرة عنقك ، حين تنتصب الشعيرات ،
وتشعر أن هناك ما لا وجود له يقف وراءك ..

عن الأشياء التي لا اسم لها كما يسميها (لافكرافت)
العظيم ، الذى لا بد أنكم تعرفونه الآن ..
عن الخوف أكتب ..

عن الستائر التي تتموج ليلاً فى ضوء القمر دون
أن تكون هناك أنسام تبرر هذا كله ..

عن الأبواب التي تصدر صريراً لا يكفى بعض
الزيت لعلاجه ، وكل أبواب قصص الرعب تصدر صريراً
كما تعرفون ..

عن شواهد القبور فى وقت الغروب ، والساعات
التي تشير إلى آخر لحظة كان أصحابها أحياء ..

عن الأطفال الذين تلعب معهم ساعة أو أكثر ، ثم تعرف
- بالصدفة - أنهم ماتوا من أعوام ..

عن الوجوه التي تنطبع على زجاج النوافذ ، وصوت
الأنين القادم من غرفة نائية خالية فى دارك .. والشموع
التي تنطفئ دون هبة هواء واحدة ..

عن الرعب أكتب ..

لكنه ذلك الرعب الهامس الموحى الذى يشبه لحنًا
غامضًا سمعته يوماً ما ، ولاستطيع تذكره بالكامل ..
الشعور بأن شيئاً ما لا تدرى كنهه سيحدث بعد ثوان ..
لا أتكلم عن الأطراف المبتورة والدماء والعيون
المقلوعة فليس هذا هو المكان المناسب بالتأكيد .. ربما
قابلت بعضها فى قصة اليوم ، لكنه الاستثناء الذى
يؤكد القاعدة ..

- اليوم نتحدث عن العشرة ..

★ ★ ★

١ - مقدمة لا بد منها للأسف ..

لندن بعد منتصف الليل ..

هناك فيلم رعب قديم لـ (لون تشانى) بهذا الاسم ،
لكننا بعيدون عن أفلام الرعب هنا .. (لندن) القرن
التاسع عشر المظلمة بشوارعها الضبابية وأنوارها
الخافتة ، يجول فيها السفاحون والمذعوبون والمسوخ
الهاربة من المعامل ، بينما البشر النادرون الذين تلقاهم
هم دائماً ضحايا .. هذا هو ما تعلمناه من السينما وقصص
الرعب القديمة ، أما (لندن) المعاصرة فمدينة راقية
متحضرة .. لا شيء يخيف فيها إلا عدم تمكنك من
الالحاق بالمترو ..

لهذا - يمكننا أن نفهم - كان (تيموثى مورجان)
يركض ركضاً وهو يختلس نظرة إلى ساعته من حين
لآخر ..

إنه موظف فى أحد الفنادق فى (ساسكس جاردنر)
- وسط المدينة - ويسكن فى ضاحية مطار (هيثرو)
التي يسمونها (ميدل إكس) .. ومن عادته أن يلحق
بهذا المترو بالذات ليكون فى داره فى الثانية بعد
منتصف الليل .. وقد ظل يمارس هذا الروتين خمس
سنوات كاملة منذ استقر فى حي (كرانفورد) مع أسرته ..
الحقيقة هى أن العمل كان بعيدًا عن المنزل ..
لكن العمل كان يناسب ميوله ، والمنزل كان يروق
له ، وقد عجز عن أن يجمع الحسنيين فى مكان
واحد ، ولكنه كان يؤمن بقدرة التعود على إزالة
الصعاب ..

لندن بعد منتصف الليل ..

ليست بالضبط مدينة نائمة لأن لندن - كأيّة عاصمة
أخرى - مدينة لاتنام ، لكن محطة مترو الأنفاق
- ويسمونه هنا الأبواب أو الـ Tube - كانت خالية كعادتها
فى هذه الساعة .. لا بد من الظلام .. الكثير منه .. لا بد
من الصمت .. الكثير منه ..

على الجدار تتناثر عبارات عشوائية رسمها بعضهم
بعلب (السبراى) أو بالأقلام الغليظة .. عبارات بذئية
أو تتهم الحكومة البريطانية بالفساد ، أو تؤيد
(كاسترو) وتنعى (جيفارا) ..

ربما تجد هنا أو هناك عجوزًا شريدًا نائمًا ، لأن
لندن - كأيّة عاصمة أخرى - لا تعرف الرحمة .. إن
لها وجوهاً عديدة لكن لا روح لها ..

الضوء الخافت يسقط فوق الجدران الرخامية ،
وعلامات إرشاد هنا وهناك تحدد مسارات المترو
العملاق ، الذى يشكل شبكة كاملة تحت المدينة
الصاخبة ..

بعد قليل يصل المترو وكشافه الوحيد العملاق فى
المقدمة يعطيه انطباعًا أسطوريًا كأنه ديناصور عملاق
قادم لالتهام الجميع .. تنفتح الأبواب الكهربائية ، ويدلف
(مورجان) إلى الداخل ليجلس فى أول مقعد يقابله ..
والعربة دائماً خالية إلا من عجوز شريد آخر ، يمضى

ليلته فى رحلة لا تنتهى داخل عربات المترو .. لأن لندن
- كأية عاصمة أخرى - لا تعرف الرفق بالشيوخ ..
وتتغلق الأبواب ، وبعد دقائق يغلب (مورجان) عناء
العمل الذى استمر ثمانى ساعات متواصلة ، فيغفو ..
دائمًا لا تطول غفوته أكثر من نصف ساعة ، بعدها
يصحو مذعورًا يتساءل أين هو .. ثم يفيق ويغفو
ويفيق .. وفى النهاية يصل إلى المحطة ، فيترجل ويمشى
قليلاً فى الشوارع المظلمة متجهًا إلى (كرانفورد) ..

هذا هو روتين حياته الممل .. طموح ؟ لقد كف عنه
من سنين .. لم يعد يريد إلا أن يظل فى هذا العمل الذى
يدر عليه دخلاً معقولاً ..

الآن هو يدخل المحطة ويتجه إلى مكانه المعتاد من
الرصيف ..

★ ★ ★

كان هناك ثلاثة أشخاص يأتون من بعيد .. على
مسافة خمسين مترًا ..

لم يكن (مورجان) يخاف اللصوص ولا المتحرشين
فى هذه الساعة .. لأن من يخاف هؤلاء يجب أن
يكون ثرياً أو موحياً بالشراء أو امرأة .. أما هو
فلاشئ فيه يدعو للتحرش .. نظرة واحدة لمظهره
وثيابه وعلامات المعاناة على وجهه ، تقنع أى لص
أنه مجرد زميل آخر .. أو واحد من الأشخاص الذين
لا اسم لهم وهم ملح الأرض ..

لكن شيئاً ما فى شكل هؤلاء القادمين خطه يتوجس
نوعاً ..

كانوا يمشون فى غير انتظام .. مشيتهم توحى بالكثير
من الاستهتار والعدوانية والغطرسة .. وكانوا مسلحين
بالعصى ، ويتبادلون الضربات فيما بينهم على سبيل
المزاح ، وصوتهم مرتفع على غير عادة الإنجليز ..
هؤلاء إذن من عتاة البلطجية ، أو هم ثملون إلى حد
أن صاروا كذلك ..

نظر حوله بحثاً عن رجال شرطة ، لكن لم يكن هناك
أحد .. هذا طبيعى لأن رجال الشرطة لا يظهرون إلا حين

تكون أنت المخطئ ومن المستحيل أن تجد واحداً
حين تريده ..

تراجع للوراء وقدر أنه إن ظل هادئاً لن تحدث
مشاكل .. لقد مر بهذا الموقف مرتين أو ثلاث مرات
فى تاريخ عودته من العمل ، ولم يحدث له شىء ..
إنهم يقتربون أكثر ..

يدخلون دائرة الضوء .. وهذه المرة زال اطمئنائه
وطارت نفسه شعاعاً ..

كانت على عيونهم جميعاً عوينات سوداء وثيابهم
توحى بالهيبيز الذين كان هذا العهد عهدهم الذهبى ..
مع فارق واحد هو أن الهيبيز أميل إلى السلام والتراخى ..
هؤلاء كانوا واضحى الشراسة والقوة ، وأدرك أن
اثنين منهم ملوثان بالدماء إلى حد يوحى بأنه لن يكون
الضحية الأولى لهم فى هذه الليلة .. كما أدرك أنهم
غائبون عن الوعى تماماً .. لا بد أنه مخدوماً من المخدرات
التي يتعاطاها أمثال هؤلاء ..

بدأ يتراجع للوراء أكثر ، وقدر على الفور أنهم
من أجله قادمون ..

أشار أحدهم إليه وصاح بلهجة (الكوكنى) التى يصعب فهمها على من لا يعرفها :

- « هذا واحد آخر !! »

فأطلق الآخرون ضحكة ماجنة مدوية ، وأطلقا سبة بذئية ، ثم مشوا نحوه .. خطوات بطيئة لكنها فعالة .. لاداعى للإسراع فلا يوجد أحد فى المحطة كلها ..

أين هذا المترو ؟ لاداعى لانتظار المترو على كل حال ، لأنهم - طبعًا - سيركبون معه .. مالم ينهوا الموضوع قبل أن يركبه ..

ماذا يريدون ؟ لا يعرف .. وفى الغالب هم كذلك لا يعرفون .. إنهم فى حالة غياب عن الوعى جعظتهم أقرب إلى ذئاب شرسة تحتاج إلى الدم .. أى دم .. سيضربونه ضربًا مبرحًا ولربما يقتلونه ثم يفرون ، ولسوف تكتب الصحف المسائية عنه ، باعتباره نموذجًا لما وصل إليه العنف غير المبرر فى هذه الأيام ..

نظر إلى نهاية الرصيف ، ووجد أن هذا هو السبيل الوحيد أمامه .. الابتعاد عنهم ..

ودون إعادة تفكير راح يجرى إلى نهاية الرصيف ..
يجرى .. لم يبد أن هناك من يجرى خلفه لكنه أدرك
أنهم يواصلون الزحف الحثيث نحوه ..

- « هلم يا (مارتن) .. إنه لك !! »

قالها أحدهم فى مرح .. فراح (مورجان) يركض
أسرع وأسرع ..

نهاية الرصيف حيث ينتهى النور ويبدأ الظلام فى
النفق الطويل المؤدى إلى المحطة التالية .. فقط هناك
حبل معلق على سبيل الحاجز ، مع لافتة حمراء مضيئة
تنذر الحمقى من تجاوز هذا الحاجز .. لكن لا خيار
أمامه ..

رفع ساقه ليعبر الحبل ، ثم وثب عند نهاية الرصيف
إلى الظلام .. وراح يركض موازياً للقضيب ..

يسمعهم يركضون وهم يتصايحون فى مرح .. كما
يتصايح النبلاء الإنجليز فى حماسة عند بدء صيد
الثعالب .. يركض أسرع وأسرع ..

الآن هو يركض فوق الحصى الموجود على جانبي
القضيب .. جواره جدار النفق .. ومسافة تبلغ نحو
المتر تفصل هذا الجدار عن القضيب .. ظلام دامس ..
لكنه يرى من بعيد كشافاً خافت الضوء معلقاً على
الجدار .. وهو واحد من كشافات متباعدة تجعل الرؤية
ممكنة إلى حد ما ..

يركض ولا ينظر للوراء .. لأن الراكضين الذين
ينظرون للوراء يتعثرون دائماً .. هل ما زالوا خلفه ؟
الحقيقة أن دخوله هذا النفق حماقة ما بعدها حماقة ،
ولو قتلوه هنا فلن يشعر به أحد .. لا أحد يجيء هنا
منذ أنشئ خط المترو ، لكن ماذا كان بوسعه أن
يفعل ؟ ينتظر حتى يهشموا جمجمته أو يبقروا بطنه
بمديهم ؟

لن يستطيع طبعاً الركض حتى المحطة التالية ..
هذا يحتاج إلى ساعة كاملة أو أكثر .. عليه أن يبقى
هنا بعض الوقت ثم يعود بعد فترة تسمح بانصراف
هؤلاء المشاغبيين ..

النفق يرتج .. لماذا ؟

آه ! لقد جاء المترو الذى كان يجب أن يركبه ..
ورحل طبعًا .. وهو الآن يتجه إليه !

نظر للوراء فرأى الضوء الرهيب فى نهاية النفق
يكبر حجمًا من لحظة لأخرى ، والنفق يرتج أكثر
فأكثر .. أدار ظهره للجدار ليلتصق به ، وبذل مجهودًا
عنيفًا كى يتحول إلى نوع من الطلاء الملتصق
بالجدار .. كانت هناك أجزاء حجرية بارزة فأنشب
أظفاره فيها ، وتمنى ألا يكون تفريغ الهواء عنيفًا إلى
الحد الذى يلقى به تحت عجلات الوحش القادم ..

فووووووووووه !

مر الهول القادم به ، على مسافة لا تتجاوز ثلاثين
سنتيمترًا .. كان الأمر لا يصدق كأنه الكابوس ، وراح
النفق يرتج بأعنف ما يمكن ، بينما العربات المضيفة
تجرى أمامه بسرعة ، حتى إن صورتها تحولت إلى
جسم طويل مضىء هائل الحجم بلا تفاصيل وبلا نهاية ..

وكاد تفريغ الهواء ينزعه من مكانه لكنه تشبث بقوة
تفوق تحمل البشر .. تخيل أنه سحلية تشبث بقوة
فى تجاوزيف جدار ..

حقاً هى تجربة شنيعة تغير تضاريس روحك ذاتها ،
ولأسباب كهذه عالج القرويون عندنا العقم وبعض
الأمراض المستعصية بالنوم بين قضيبى القطار فى أثناء
مروره على سبيل (الخضة) .. تجربة كهذه يمكن
أن تمرض السليم وتشفى السقيم حقاً ..

أخيراً مر الكابوس فتخلى (موجان) المرتجف
عن الجدار ، ووقف يرمق القطار المبتعد فى دائرة
نور تنكمش عبر النفق .. لشد ما تمنى لو كان فيه
الآن !

★ ★ ★

أما وقد مر المترو فقد وجد نفسه يمشى بلا هدف
فى الممر الطويل وهو يترنح فوق ساقين لا تشعران ..
لماذا مشى مبتعداً عن المحطة وقد كان المفترض

أن يعود لها؟ هذه أشياء لا يمكن تفسيرها بالورقة والقلم .. أجدادنا وصفوا الموقف بتعبير شعبي حكيم - وكل التعبيرات الشعبية حكيمة .. هو : (ساعة القضاء يعمى البصر) ..

ربما لأن مرور القطار أذهل عقله ، وربما لأنه كان يقدر أن العصابة لم ترحل بعد ، وربما لأنه اعتقد أنه يمكن أن يصل للمحطة التالية .. المهم هنا أنه واصل رحلته وحيداً في النفق المظلم ، لا يرى إلا على ضوء الكشافات الخافتة المعلقة على الجانبين ، والتي كان يراها من نافذة المترو كخط واحد مضى ..

سمع صوت العواء فارتجف ..

ذئب هنا ؟ أليس هذا غريباً بعض الشيء ؟

لكنه في موقف سيئ حقاً .. رباه ! إنه موقف كريبه مقبت ..

لو كان هنا ذئب أو مجموعة من الذئاب فماذا عساه يفعل ؟ كيف يركض فوق هذه القضبان ؟ وإلى أين يذهب ؟

ولكن .. ذئاب تحت شوارع (لندن) .. هذا سخف ..
صوت العواء ليس سخفاً .. لكن لا بد من تفسير ما ..
تعقل .. تعقل .. تعقل ..

ستنجو .. ستنجو .. ستنجو ..

نظر للوراء . لكنه رأى ما يدعوه إلى المزيد من
الركض فى الاتجاه الخاطئ .. لا بد من كثير من الركض ..
هنا ؟ مستحيل ! لا بد أن هذا كابوس .. لسوف يفيق
منه حالاً ، وتقدم زوجته له القهوة والخبز المحمص ..
راح يركض ويصرخ .. يركض ويتوسل .. يركض
ويسب يركض ويبصق .. يركض ويتعثر .. يركض
ويبكي .. يركض ويئن .. يركض ويلهث .. يركض
ويرتجف ..

يركض و ... أنت تعرف هذا النوع من القصص
بالطبع ..

وعندما مر المترو التالى كان الصخب عالياً إلى
درجة أن جدران النفق نفسها لم تسمع الصرخة ..

★ ★ ★

٢ - أنا من جديد !

القانون الأول :

لا أحد سوانا .. لأنه لا أحد يقبل أن يكون منا ..

★ ★ ★

لله ما أجمل الحياة !

كنت فى هذه الأيام أعيش فترة من الصفاء الروحى الكامل .. حتى بدأت أعتقد أنني مت أخيراً وصرت روحاً شفافة .. لم يعد هناك صدام ، وتحسن ضغط دمى كثيراً لأسباب لا أفهمها .. ومنذ فترة لا بأس بها - حوالى ستة أشهر - لم أر شبحاً أو أسمع قصة عن واحد .. لا بد من لحظة ما يكف المرء فيها عن أن يكون مختلفاً ويصير له الحق فى الحياة كالآخرين .. لقد انتظمت حياتى أخيراً بعد قصة ذراع المومياء إياها ..

والسبب الآخر الذى لا أعترف به - أنا لم أعد

مراهقًا - هو أن (ماجى) كانت فى الموضوع هذه الأيام .. كنت فى (لندن) فى مهمة علمية ، هى الإشراف على طالب دكتوراه لامع يدرس هناك - أعتقد أنه (محمود أبو زهرة) إن لم تخنى الذاكرة - وكان على أن أمضى أسبوعين فى عاصمة الضباب التى كانت تحكم العالم يومًا ما ..

طبعًا لم يكن ممكنًا أن أكون فى (بريطانيا) ولا أخبر (ماجى) أنني هنا .. اتصلت بها فى (إنفرنسشاير) فجاء صوتها الأثير الغريز عبر سماعة الهاتف .. لغتها الإنجليزية الراقية وطريقتها العاقلة الودود فى الكلام .. ومن جديد أشعر أنني ذلك الطفل التحس الذى لا يعرف كيف يتصرف من دون (ماما) ..

لا أدرى كيف ولا متى بكيت .. يبدو أنني أمضيت تسعين بالمائة من اللحظات التى قابلتها فيها ، أبكى كالبلهاء وأتمخط فى كم بذلتى ..

- « يالك من طفل ! اهدأ يا (رفعت) .. اهدأ أيها الأحمق .. رباه ! ماذا فعلت الحياة بك يا صغيرى ؟ »

- « لم تفعل شيئاً على الإطلاق .. لعل هذا سبب كاف للبكاء !! »

قالت بطريقتها العملية :

- « ليكن .. يجب أن أراك .. متى يناسبك أن نلتقى ؟ »

- « اليوم .. الآن ! »

- « هذا لن يناسبنى .. اسمع .. سأكون فى (لندن) بعد ثلاثة أيام ولكن لمدة يوم واحد لا أكثر .. لن أستطيع إيجاد وقت أكثر على جدول أعمالى .. سأتصل بك قبل وصولى على هذا الرقم .. »

ووضعت السماعة شاعراً بالحيرة والتخبط والغباء .. إنه ذلك الشعور الذى يشعر به النشال بعد أن يتلقى علة فى الحافلة .. علة توصله إلى حد عدم الشعور بالألم .. إنما هو مذهول وربما يضحك .. إن (ماجى) بالفعل قد تحولت إلى معنى .. مصدر لغوى .. أكثر من كونها مجرد فتاة أحببتها .. وأنا أعرف جيداً لماذا لم أتزوجها حتى الآن ، لأن الإنسان لا يستطيع

أن يتزوج مصدرًا لغويًا أو معنى مطلقًا .. هل سمعت
عن شخص - مهما كان أحمق - تزوج من العدالة
أو الحرية أو المروعة ؟

لن أطيل عليكم على كل حال ..

هناك أشياء لا يمكن التعبير عنها بكلمات ، ولو حاولت
أن تفعل فلن تكسب إلا مضايقة الآخرين .. من يهتم
بهذه الأمور سيجد الكثير منها فى الكتيب الحادى
والثلاثين (أسطورتها) .. وكما أن مريض الزكام
لا يتحكم فى أنفه ، كنت أنا وقتها مصابًا بنوع من
الزكام العاطفى .. وهو نوع من الزكام لا تجدى معه
كل أقراص فيتامين (ج) فى الكون ..

★ ★ ★

كنت أقيم فى حى (كرانفورد) فى (ميدل إكس) ..
جوار مطار (هيثرو) الشهير .. هذا هو المكان الوحيد
الذى استطاع تلميذى أن يحجزه لى فى هذا الموسم .. إن
الحى يوشك أن يكون جزءًا من (بومباى) أو
(إسلام آباد) من كثرة من فيه من هنود وباكستانيين ،
لكنى بالطبع لا أهتم بأين أسكن لأنى منغلق على عالمى

الداخلى .. الشىء الوحيد الذى ضايقتنى كثيراً هو
كثرة الطائرات التى تهز البيت هزاً والمنطقة كل
لحظة من مطار (هيثرو) أو المتجهة إليه .. يصعب
إقناعى بأننى لا أعيش فعلاً فى ممر الطائرات ..

لكن الشقة الصغيرة التى حجزها لى لمدة أسبوعين
كانت مريحة ، وكنت أحبها بحق ، خاصة وأنها تطل على
حديقة صغيرة جميلة .. إننى لا أرى الزهور إلا نادراً
وقد احتجت إلى وقت أطول من اللازم كى أتذكر اسم
هذه الكائنات الرقيقة المبهجة ..

لا أرى الزهور إلا نادراً ، وقد جاءت (ماجى) ..
ثم رحلت ..

فقط سألتنى وهى تقف على الباب مودعة :

- « للأبد ؟ »

- « ماذا ؟ »

- « ستكون ملكى للأبد ؟ »

- « وحتى تحترق النجوم كلها .. وحتى .. »

هنا صاح سائق سيارة الأجرة الإنجليزى متململاً ،
لأننا تركناه واقفاً أمام البيت كل هذا الوقت .. ولم تجد
(ماجى) بدأ من قطع العبارة والحق بالسيارة ..

وتنهدت وأنا أعود إلى الداخل .. أمامى عشرة أيام
أو أقل هنا .. سأغرق نفسى فى العمل كى لا أفكر فى
شئ آخر .. إن الأنسام لا تدوم للأبد .. إنها ترحل
بعد ما ترطب وجودك ، لكنك - وهذا قاس - لا تتحمل
بعد رحيلها فكرة الحياة من دونها ..

★ ★ ★

أذكر أننى كنت واقفاً مع طالب الدكتوراه النجيب
بيدولى الآن أنه ليس (محمود أبو زهرة) .. ثمة احتمال
لابأس به أن يكون (إبراهيم مينا) - نتحدث عن
(لندن) ، وكنت أحب هذه البلدة بحق .. إن ذكريات
دراستى هنا لا تبرح ذاكرتى أبداً ..

أول سفر للخارج .. أول بعثة دراسية .. أول حب
متبادل ..

قال لى (إبراهيم) وهو يدفن عنقه فى ياقة
معطفه فقد كان البرد قاسياً :

- « لم أستطع قط أن أحب إنجلترا .. إنها الضباب
والبرد والقسوة والتحفظ .. كل هذا فى وقت واحد .. »

- « لنفس الأسباب أحبها أنا بجنون ! »

قال فى اشمئزاز :

- « هنا لا تشعر بالأمان لحظة .. وإبنى لأتساعل عن
السبب الذى يجعل الدارسين مثلى يأتون بأسرهم .. »
ولوح بصفحة من (صنداي تايمز) تحت أنفى
وصاح :

- « هل ترى ياسيدى ؟ لا بد من مختلفين .. لا بد
من الغاز ما .. فى القرن الماضى كان (جاك السفاح)
الذى يجوب شوارع (لندن) يقطع رقاب النساء ،
واليوم .. ماذا عن اليوم ؟ »

لم أفهم لأننى لم أكن قرأت الجريدة ، وعلى العموم
لست من هواة صفحات الحوادث فى أية جريدة ،

لهذا سألت الطالب النجيب .. أعتقد أنه ليس (إبراهيم
مينا) .. لا أدري لماذا أعتقد أنه (أحمد عدلى) ..
سألت (أحمد عدلى) فى برود :

- « يبدو من كلامك أن هناك أشخاصًا مختلفين .. »

- « وأكثر من ذلك .. إنهم قد صاروا عشرة الآن ..
وكلهم فى وسط المدينة .. فى الساعات الأولى من
الصباح .. »

- « لقد بدأت أستنتج من كلامك أن هناك عشرة
أشخاص مختلفين فى الساعات الأولى من الصباح .. »
نظر لى فى غيظ .. لم يكن طبعًا يعرف ولا يألّف
طريقتى السمجة فى المزاح ، لذا اكتفى بأن قال فى
ارتباك :

- « عشرة .. هذا كثير .. والبوليس البريطانى
و (سكوتلاند يارد) لا يعرفون شيئًا على الإطلاق .. فقط
يتظاهرون بالخطورة والغموض ، ويقضون وقتهم فى
ملاحقة الأجانب بحثًا عن تصاريح العمل .. »

هززت رأسى لأنه ليس عندى ما يقال ..

ولما كانت الساعة الخامسة مساءً فاتنى فارقت الطالب
النجيب (أشرف راشد) على موعد فى الغد .. كنت
أريد زيارة متحف (مدام توسو) ، لكنى لا أعتقد أنهم
متحمسون إلى هذا الحد .. إذن هى جولة فى ضواحي
(لندن) لأتأكد أننى لم أنسها ، وأنها لم تتغير بعد كل
هذه السنوات ..

★ ★ ★

لم يكن عندنا مترو أنفاق فى مصر وقتها ، وكنت
أنا منبهر كطفل بهذه اللعبة الإنجليزية التى تركبها
فتحملك إلى كل مكان تحت الأرض .. وقد ركبتها
مرارًا .. فى كل مرة آتى فيها إلى إنجلترا أقضى فى
المترو أضعاف الساعات التى أقضيها فوق الأرض ..
وكان هو وسيلتى المفضلة للذهاب إلى وسط البلد ..

يسمونه الأنبوب Tube فى العامية ، أما اسمه الرسمى
فهو الـ Underground طبقًا .. وهو يتكون من ثلاثة
طوابق تربط أكثر من 288 محطة .. ويقولون إن من

يمشى فى ممراته من دون خارطة إنما يستحق
ما سيحدث له ، لأن الساعة قد تقوم وهو مازال
لا يعرف أين هو .. أى أنه من الطبيعى جداً أن تقابل
رجلاً تمزقت ثيابه وطالت لحيته ، أو رجلاً مات من
الظمأ .. إن اللافتات هنا كثيرة .. ربما أكثر من
اللازم إلى حد أنها تجعلك أكثر جهلاً ، وهو بالضبط
ما قاله فيما بعد الدكتور (جلال أمين) فى كتابه
المهم (العولمة) .. كثرة المعلومات قد تجعلك
عاجزاً عن اتخاذ قرار صائب ..

المهم أننى لم أحاول فى هذه الزيارة بالذات
أن أتسلى بأن أضل طريقى فى المترو .. لم
يكن عندى وقت ولا مال رائق لهذا .. بالإضافة
إلى أن البرد شديد حقاً لا يغرى بالمغامرة ..

ركبت متجهاً إلى ضاحية (ميل إسكس) كما قلت لك ،
وجلست جوار النافذة أرمق النفق المظلم بالخارج ..
هنا شعرت بأن مجنوناً جلس جوارى .. كيف عرفت أنه
مجنون ؟ هذا سهل .. لأن ثيابه كانت خليطاً عجيباً من

الألوان ، ولأن ذقنه كانت طويلة مشعثة وكذا كانت نظرات عينيه ، وكان يخفى فى صدر سترته كلباً صغيراً بحجم الأرنب .. هل هذا يكفى المرء كى يخمن أن جاره مجنون ؟ ثمة شىء فى مظهرى يروق للمجانين والمتسولين ولا أدرى ما هو .. لكنه نوع خارق من الجاذبية يدنو كثيراً من مرتبة السحر ..

قال لى بلهجة حاسمة مسرحية :

- « إتهم هنا .. فى كل مكان .. أعرف هذا .. »
نظرت له وابتسمت باعتبار ما يقوله رائع حقاً ..
فواصل الكلام :

- « إن الشرطة تنكر ذلك .. هل تعرف السبب ؟
هه ؟ هل تعرف السبب ؟ »

وأخرج زجاجة صغيرة مضغوطة من جيبه ، وفتح سدادتها وأفرغ جرعة فى فمه ، ثم - ويا للقدارة - قربها من فم الكلب الصغير ليلعق لعقة من حافتها .. كلب صغير بئس صعلوك مثل صاحبه .. وبالتأكيد لا يشغل مكانة مرموقة أو محترمة فى دنيا الكلاب ..



وكان يخفي في صدر سترته كلبًا صغيرًا بحجم الأرنب ..

أعاد الرجل السدادة للزجاجة والزجاجة لجيبه ثم
عاد يسألنى :

- « هل تعرف السبب ؟ هه ؟ »

قلت فى ذكاء وأنا لا أفقه مما يقول حرفاً :

- « لأن لهم مصلحة فى الإنكار .. إنها نظرية
المؤامرة !! »

- « بل لأنهم لا يعرفون ! بالله عليك هم لا يعرفون !
يتظاهرون بالعلم والسيطرة على مجريات الأمور .. لكنهم
لا يعرفون ! »

هزرت رأسى ، وقلت بلهجة من ينهى المحاورة :
- « سيعرفون .. سيعرفون .. المهم أن تستمر أنت
وأمثالك ، وسوف تنتصر الحقيقة يوماً »

ثم أسندت خدى للزجاج البارد ، وصمت أن أظاهر
بالنوم كى يتركبنى وشأنى ..

لكنى نمت فعلاً بعد يوم طويل شاق ..

★ ★ ★

٣ - حكاية ثلاث فتيات لم يعدن ثلاثاً ..

القانون الثانى :

ما يعرفونه لا يعيننا أن نعرفه .. وما نعرفه لا يصدقه
أحد منهم ..

هن ثلاث فتيات ..

ثلاث فتيات عاملات من الطراز البريطانى ، أى الفتاة
العملية جداً لا تشعر بأثوثتها على الإطلاق ، والمسترجلة
قليلاً وإن حرصت على ارتداء أحدث موديلات الثياب ..

ثلاث فتيات هن ..

(مارى) و(اليزابث) و(ساندرا) .. الأولى والثالثة
زنجيتان .. نعم فالزنوج فى كل مكان من (لندن) ولهم
وضع لا بأس به أبداً بالنسبة لزنوج أمريكا فى أعوام
التفرقة العنصرية هذه .. حينما كان (مارتن لوثر كينج)
و(مالكولم إكس) يموتون على أيدي البيض فى الولايات
المتحدة ..

الفتيات الثلاث يعملن فى مطعم ، ويقمن فى شقة واحدة فى (وست إند) .. وبالنسبة لهن لم تكن الحياة مبهجة جدًا لكنها محتملة .. صحيح أن الغد لا يبشر بالكثير .. لكنهن سيتزوجن يومًا ما .. ولئن كانت حياتهن مملة فلربما كانت حياة أزواجهن أكثر إثارة .. مازال زوج الغد هدية غامضة فى صندوق مغلق .. ربما هو وسيم مثل (مايكل كين) .. ربما هو ثرى مثل (أوناسيس) .. ربما هو ظريف مثل (بيتر سيلرز) .. وربما لا وجود له أصلاً !

لقد انتهى يوم من العمل الشاق ، ومن تحمل سخافات الزبائن ، لأن الزبون دائماً على حق مهما كان كذاباً وقحاً مدلاً متغطرساً أحمق مدعيًا متطرفاً سوقياً سمجاً لزجاً لحوحاً مضلاً أخرق غيبياً متحذلقاً .. لكنه على حق !

لقد بدأ يوم الأحد ، وهو إجازة فى كل البلاد ما عدا فى المطاعم ! لا شىء يتغير فى روتين الحياة ولا شىء يتغير فى النكات التى يتبادلونها .. يبدو أن عليهن الصمت

لمدة عامين إلى أن تتجمع مواضيع مشتركة جديدة ..

هن ثلاث فتيات ..

ثلاث فتيات هن ..

وعنهن أكتب هذا الفصل القصير ..

★ ★ ★

كانت محطة المترو خالية تمامًا في هذه الساعة المبكرة من صباح الأحد .. لقد اعتدن هذا كما اعتدن ألا يخفن .. فهن معًا وهذه نقطة مهمة .. معًا حتى الوصول إلى البيت والنوم .. وقد علمتهن التجارب أن المتاعب قلما تحدث لثلاث فتيات مجتمعات ..

النقطة الثانية المهمة أن الأولى - (مارى) - تحمل سكيناً زنبركيًا في حقيبة يدها ، بينما الثالثة (ساندرا) تجيد بعض الكاراتى من مدرسة حضرتها العام الماضى ، ومنذ عام كسرت ذراع شاب مشاغب ضايقها أكثر من اللازم .. أما الثانية (إيزابث) فتضع فى حقيبة يدها قالبًا من القرميد .. وهو طريقة فعالة جدًا فى

القتال .. فى هذا الزمن لم تكن أشياء مثل الصاعق
الكهربى والسبراى تباع فى المحلات هناك ..

وقفن على المحطة ينتظرن المترو ، وهو لن
يتأخر على كل حال .. وراحت (مارى) و (اليزابت)
تتبادلان حديثًا هامسًا ، لأن صمت المحطة كان
يوحى لهما بأن كل (لندن) تسمع ما يقولان ..

فجأة سمعن صوت نباح كلب ..

نظرن إلى نهاية الرصيف ، فوجدن أن هناك أربعة
رجال يمشون فى تودة نحوهم وقد أمسك اثنان منهم
بكلبين .. كلبين من سلالة مجهولة لكن الكلاب السوداء
الضخمة عالية الظهر تتشابه على كل حال ..

لم تحب (ساندرا) المنظر كثيرًا خاصة أن الكلبين كانا
يتواثبان محاولين الخلاص من الحبلين اللذين يقيداهما ..
كلبان من سلالة متحمسة تهوى القتل فيما يبدو ..

نظرت لـ (اليزابيث) فى عدم فهم ، فقالت لها فى

هدوء :

- « لا تتحركى ودعيهم يمرون .. »

ووقفت الفتيات الثلاث ينظرن فى رعب إلى القادمين ،
لكن كل واحدة منهن أدركت أن القادمين لن يكتفوا
بالمرور .. منظرهم يوحى بالمشاغبة وحب التحرش ..
والنقطة الأهم أن معهم كلابًا ، وهذه لا يجدى معها
القتال على الطريقة اليابانية ..

القادمون يقتربون أكثر ويتبادلون عبارات المزاح ..
هنا هتفت (ساندرا) وهى شبه قائدة هذا الثلاثى :

- « يجب أن نبتعد ! »

كن يعرفن أن الركض سيقطع الخيط الوحيد الذى
يحفظ عقلانية هذه المواجهة .. هنا فقط سيفتح باب
الجحيم ويتحول الموقف السخيف إلى مطاردة حقيقية ..
لكنهن لم يهتممن وبدأن يجريين نحو الاتجاه الوحيد
المفتوح : نهاية المحطة .. وبدأت الكلاب تنبح وتحاول
التملص من ساداتها الذين كانت سرعتهم بالطبع
لا تناسب الكلاب المتحمسة ..

المشكلة أن العودة لم تعد متاحة ، والاتجاه الذى
يجريين إليه هو نهاية الرصيف حيث تبدأ (أرض
الإنسان) التى نعرفها عند نهاية أرصفة المترو ..
النف الأسود الطويل ..

هنا صاحت (إليزابيث) :

- « هذا لن يكون ! إنهم يقودوننا إلى الهلاك ! »

وطوحت بحقيبتها حول رأسها بضع مرات ، ثم قذفت
بها - بقلب القرميد - فى وجه أحد القادمين ، ولا بد
أن الضربة كانت قوية إلى درجة أن الرجل سقط على
الأرض وهو يئن ويتلوى ..

المشكلة هى أن الرجل كان يمسك مقود كلبه ،
وما كان يحب أن يترك المقود لكنه تخلص منه ليمسك
بوجهه .. وهكذا تحرر الكلب وبسرعة البرق طار فى
الهواء ، وكان آخر ما رآته الفتاتان المذعورتان هو
(إليزابيث) ساقطة على الأرض والكلب ينشب أسنانه
فى عنقها ..

أين الناس ؟ أين رجال الشرطة ؟

راحت الفتاتان تركضان إلى نهاية النفق بينما صوت الكلب الثانى - الذى كان فمه فارغاً - يصم أذنيهما .. وفتحت (مارى) نصل مطواتها الزنبركية ، وصممت على أن تبيع حياتها غالية .. لماذا لا يتكلم هؤلاء الحمقى ؟ لماذا لا يقولون ما يريدون ؟

الغريب كذلك أنهم لم يحاولوا الإمساك بهما .. كأن كل ما يريدونه هو أن يدفعوهما دفعاً إلى النفق .. ربما فكرت الفتاتان فى التوقف والمواجهة لكن بدا هذا مستحيلاً فى وجود الكلب المتحمس .. وفى وجود الذعر ..

★ ★ ★

كانت (مارى) الآن تجرى فى الظلام وتنشج :
- « (إليزابيث) ! قد تخلىنا عن (إليزابيث) ! »
لم ترد صاحبته لأنها كانت تجرى كالظليم ، وإن كانت بدورها تنشج ..

ومعًا تجرى الفتان الزنجيتان جوار قضيب المترو
فى الممر المظلم الطويل الذى لاتضيئه إلامصابيح
جانبية خافتة .. لم تنظرا للوراء ثم سمعا صوت هدير
المترو القادم .. الأرض تهتز بعنف ..

- « التصقى بالجدار وتشبثى ! »

قالتها (ساندرا) بينما الضوء الساطع يملأ الممر
ويعمى الأبصار ..

ضغطت على أسنانها وكذا ضغطت صاحبته على
أسنانها .. الهول القادم .. قليل من البشر من يتحمل
فكرة مرور قطار على بعد سنتيمترات منه فى هذا
النفق الطويل .. هذا مشهد تراه فى الكوابيس ..
ويصعب أن تتخيل وجوده فى مكان آخر ..

لكن المترو لم يستمر بنفس السرعة .. هدأت سرعته
رويدًا رويدًا .. ثم تعالى صوت الفرامل الزاعق مع
كثير من الدززززز والتشششش والإيىىى .. ثم
توقف .. وانفتحت الأبواب ..

تبادلت الفتاتان النظرات وهما تريان الباب المفتوح
كاشفاً العربة المضئية على بعد نصف متر منهما ..
هذا أجمل من أن يصدق .. ثم هتفت (مارى) :

- « ماذا تنتظرين ؟ »

وكالقرد تسلقت إلى عتبة الباب التى ترتفع كثيراً
عن الأرض ، ثم تمسكت بقضيب حديدى ومدت يدها
لصاحبيتها .. فلم تكذب (ساندرا) خبيراً ووثبت
بدورها .. وسرعان ما انغلق الباب من جديد ،
وألقت كل منهما برأسها عليه مغمضة العينين لاهثة
غير مصدقة أنها نجت ..

وراح هدير المترو يتعالى وهو يقطع الأميال دون
كلل ..

كانت العربة خالية إلا من عجوز زنجى جالس يلثمهم
شيئاً من ورقة على حجره .. من الطراز الذى لا يتدخل
فيما لا يعنيه ، ولا يهتم كثيراً أن يفهم من أين جاءت
هاتان الفتاتان .. نظرت له (ساندرا) وسألته :

- « لماذا توقف المترو هنا ؟ »

هز رأسه ومط شفته السفلى المبرقشة ببقايا الطعام ،
وقال :

- « لأدرى .. لابد أن مجنوناً ما جنب ذراع الإنذار ..
هذه الأشياء تحدث ، وفى الغالب لا يجد السائق
سبباً .. »

مجنون ربما .. لكنه أسدى لهما أعظم خدمة فى
حياتيهما ..

وهمست (ساندرا) لصديقتها وهى تمسح الدموع
من عينيها الحمراء :

- « سنبلغ الشرطة بمجرد الوصول لمحطتنا .. ربما
ما زال من الممكن إنقاذ (اليزابيث) البائسة .. »

كانت الفتاتان تتوقعان أن المطاردتين قتلته أو لصوص
أو شباب عابث .. وكاتتا سعيدتين بالنجاة ، لكن لو علمتا
حقاً ما هربتا منه ، لانتابهما الذهول أو أصابهما الجنون ..

★ ★ ★

٤- فى ساعة متأخرة ..

القانون الثالث :

كل حياتهم لنا .. ودمهم مستباح .. لكننا لانبغى أموالهم لأنها منهم .

انتهيت من أعمالى فى المستشفى مع الأستاذ الإنجليزى (مايكل برايان) .. وهو رجل قصير القامة له طابع مضحك كأنه مندوب مبيعات متحمس ، أو يدافع عن قضية خاسرة .. ولم يكن بارعاً إلى الحد الذى يحاول التظاهر به .. وهو شىء لم أعتده فى الأساتذة الإنجليز على كل حال .. إنهم يستعملون فى وصف هذا النمط لفظة هى Parvenu التى يصعب ترجمتها (فى القاموس معناها الحرفى : مستجد) ، لكنها بدقة تعنى الأستاذ الذى يتبخر كالطاووس ويحمل شهادات علمية كثيرة ، لكنه خاو تماماً ولا يستحق لقب أستاذ ..

لست مسئولاً عن مستوى الرجل على كل حال ..

فى المساء دعانى طالب الدكتوراه اللامع (جميل فرج) - أعتقد أنه ليس (أشرف راشد) - إلى العشاء فى داره ، والدعوات فى بلاد الضباب لا تكون إلا للعشاء لسبب لا أفهمه .. إن الوجبة الرئيسية هنا هى العشاء دائماً ..

كان يعيش فى غرب (لندن) فى ضاحية (إلينج برودواى) وهى ضاحية تشبه عدة ضواح أخرى فى (لندن) إلى حد التطابق .. الحقيقة أن (لندن) عبارة عن مجموعة من الضواحي المكررة التى تتشابه تماماً .. (إلينج برودواى) هى بالضبط (هونزلوبيل) هى نفسها (ويست كرويدن) .. وفى كل ضاحية لابد أن تجد شارعاً هو نسخة بالكربون لشارع (أوكسفورد) التجارى الشهير فى وسط البلد ، الذى يشبه شارع (سليمان) عندنا .. حيث تجد كل المحلات المهمة والأسماء الشهيرة !

إن الأمر يحدث إلى حد ما فى مصر .. فكل مدينة - مع فارق الحجم طبعاً - فيها الفجالة الخاصة بها ،

وفيهما وسط البلد ، وحى (الحسين) الخاص بها ..
الخ .. لكنها فى (لندن) ظاهرة محيرة ..

كانت زوجة طالب الدكتوراه اللامع (سمير عبد الرحيم)
مصرية ودودًا - ابنة خاله بالمناسبة - أعدت لنا تلك
الأطباق المصرية التى أحب أكلها وأمقت هضمها ..
وراحت تطعمنى كأبنى فرس النهر ، ثم جلست إلى طرف
المائدة مع ابنها ذى الستة أعوام ، فقط كى ترى إن
كنت أريد شيئاً آخر .. قلت لها بفم ملئ بالطعام :

- « أئن تأكلى ؟ »

فقالت كلامًا كثيرًا مكرراً عن الرجيم والسمنة ..
إلخ .. ابتسمت وواصلت الأكل .. وأنا أحاول تجاهل
الشيطان الصغير الجالس على ركبتيهما ، والذى
ما انفك يقلد طريقتى فى الأكل ..

بعد العشاء رحنا نتكلم فى كلام كثير فارغ لا أول له
ولا آخر .. طبعًا لم يكن الفتى كما قال يحب (لندن)
لكنه راح يحكى عن انبهاره برجل الشرطة الذى مشى

وراءه فى الشارع يجمع قشور اللب المتساقطة منه
- ولم أسأله طبعاً من أين اشترى اللب هنا - والكاميرا
التي نسيها على مقعد الحافلة ذات الطابقين وكيف
أعادوها إليه بعد ربع ساعة ، مع خطاب شكر من
الملكة ، ووسام ومبلغ ألف جنيه إسترليني لأنه إنسان
رائع .. الخلاصة : قال لى كل ما يقوله من يعيش
بالخارج للقابعين بالداخل ..

قلت له باسمًا وأنا اعتصر قدح الشاي طلبًا للدفع :

- « لاتنس أننى حاصل على الدكتوراه من إنجلترا ..
ليست البلاد بجنة الله فى الأرض كما تصفها .. إنها
بلد أوروبى له كل مزايا وعيوب أى بلد آخر .. وعلى
كل حال لقد فررت أمس من مجنون تحرش بى فى
المترو ! وبمعجزة كدت أتلقى علكة ترد فى كتب
الأساطير .. »

ابتسم بدوره وقال :

- « لابد أنه سكير .. إن الخمر هى السوس الذى

ينخر فى هذا المجتمع وبنائه الأسرى والاجتماعى ..
ولكن ماذا كان يريد منك ؟ ما هو موضع الاحتكاك ؟ »

- « لا شىء .. كان مقتنعا بأنهم فى كل مكان ..
وأن الشرطة لا تعلم .. »

- « هم ؟ من هم ؟ »

- « هناك (هم) دائما .. لا بد من ذلك .. لكنه وجدنى
قليل الحماس - وربما قليل الأدب - وثار لكرامته ..
ولولا تدخل رجل شرطة لهشم وجهى .. »

ضحك (عمرو لطفى) كثيرا حتى دمعت عيناه ، ثم
قال وهو يحتضن طفله :

- « يجب أن تتعامل مع هؤلاء بأكبر قدر من الحرص ،
وأن تشعره بأنك مهتم بكل حرف يقول .. »

- « حاولت هذا .. لكنه كان يريد أن أصرخ هلعًا
وأبكى وألطم خدى من فرط خطورة ما يعلمه .. »

ونظرت للساعة المعلقة على الجدار ، والتي تشير

عقاربها إلى العاشرة مساء .. حقاً أطلت البقاء هنا ،
والفتى من الطراز التقليدى الذى ينام مبكراً .. لهذا
أفرغت ما بقى من شأى فى جوفى ، ونهضت شاكرًا
له هذه الحفاوة والطعام الممتاز .. وجاءت ربة الدار
من المطبخ بذراعين ملوئتين بالصابون الذى لم تفلح
فى مسحه فى مريولتها .. وصافحتنى برسغها وهى
تؤكد أن الوقت ما زال مبكرًا .. لكننى شكرتها
ولثمت الطفل الذى أظهر الاشمزاز من البلل الذى
أحدثته على خده ..

تناولت معطى من على المشجب وارتديته ، وكنت
قد ابتعت طاقة صوفية لزوم تدفئة الصلعة فوضعتها
على رأسى .. فى (لندن) يبدو منظرى معقولاً ، لكن
لورأنى أحد فى مصر لحسبنى مخبراً يؤدى عمله
جيداً .

وأخيراً وجدت نفسى أنشق هواء الليل البارد الذى
ينخر نخاع العظام ذاته ..

★ ★ ★

بعد رحلة مرهقة بالمترو عدت إلى شقتي
فى (ميدل إكس) .. فتحت الباب وأضأت النور ..
كنت أتجمد بردًا وشعرت بحاجة ماسة إلى بعض
الشاي .. لاشيء كالشاي الساخن فى هذا الليل
البريطانى الذى يجمد الدماء فى العروق ..

كالعادة طبعًا لم يكن هناك شىء منه فى الدار ..
الشاي من الأشياء التى لا توجد أبدًا حين تريدها ، وهو
فى هذا يتصرف كرجال الشرطة والمال .. ارتديت
معطى وقفازى من جديد وقررت أن أهرع إلى المتجر
الذى يديره باكستانى على قارعة الطريق .. ولولم
يكن الباكستانى يبيع شايًا فماذا يبيع إذن ؟

نزلت إلى الشارع البارد ، وكانت الأمطار قد بدأت
تهطل ببطء ينذر بالويل لكل الحمقى الذين لن يعودوا
لديارهم خلال ساعة ، الشوارع زلقة مبتلة لكنها
كشوارع الإسكندرية لا يتجمع فيها الماء أبدًا ..

كان المستر (كلیم الله) واقفًا فى المتجر يرتجف
كعادته ، فدخلت وألقيت عليه تحية المساء ، ثم طلبت

بعض الشاى .. الكثير منه ، كما انتقيت بضعة مطبات
تصلح للعشاء اليوم وغدا ..

- « برد .. برد شديد .. »

قالها وأسناته تصطك ، فاصطكت أسناتي مجاملة له ،
ودفعت الثمن بأنامل توشك على الإصابة بقضمة الصقيع
برغم القفازين .. ومن مكاني سمعت صوت سرينة ما ،
لعلها الإسعاف أو سيارة شرطة .. ثمة حادث وقع فيه
أشخاص متحمسون ..

قال وهو يضغط على أزرار آلة النقود :

- « لا بد أنها عصايات الشباب اعتدت على
أحد .. هذا يحدث كثيرا هذه الأيام .. »

ثم - بالصدفة الغريبة - قال وهو يضع النقود فى
درج الآلة :

- « إنهم هنا .. فى كل مكان .. أعرف هذا .. »

قلت له الجزء التالى من القصة :

- « الشرطة تنكر وجودهم لأنها لا تعلم .. »

- « بل هي تعلم لكنها لا تملك العدد الكافى من الرجال ..

لا يمكن أن تعين شرطياً يحرس كل مواطن .. »

وأخرج سكيناً طويلاً يوشك أن يكون سيفاً ، من الطراز الذى يفتح به الجزارون عندنا بطون من يناقشونهم فى التسعيرة ، وقال وهو يلوح به تحت حنجرتى :

- « لكنى أتحسب لهم .. دع أى أحقق منهم يأت

ولسوف يرى ! »

لم أشك فيما قال ، فهو من الطراز الباكستانى حار الدماء ، الذى يبكى بسهولة ويقهقه بسهولة ، ويقتل بسهولة عند الانفعال .. حييته وحملت حاجياتى وخرجت إلى الشارع من جديد ..

عرفت أنه أمام باب مترو الأنفاق الذى تهبط منه إلى الرصيف ، تقف سيارتا شرطة وسيارة إسعاف .. هذا هو سبب السرينة إذن .. الأضواء الملونة لا تكف

عن التفرق فوق معالم المكان ، وتنعكس فوق الأرض
المبتلة .. ورجال الإسعاف يحملون على محفة ماجسداً
مغطى بملاءة ملوثة بالدم ، بذلك الشكل الذى يوحى
بأن صاحبه لن يتعب الأطباء بعد اليوم .. لقد جاءوا
به من الداخل .. من محطة المترو ذاتها ..

لا أحب هذه المناظر ، لذا ابتعدت عنها .. فلست من
هواة التطهير Catharsis بروية أغلظ وأشنع ما يمكن
أن تصل إليه الأمور .. ولم يكن هناك مارة بسبب
الأمطار لهذا كان الرجال على راحتهم إلى أقصى حد ..
فجأة سمعت النباح ..

ونظرت إلى جوار جدار المحطة .. فوجدت كلباً صغيراً
مضحكاً فى حجم الأرنب ، ينبح بصوته الهش الرقيق ،
وفى حالة عصبية غير طبيعية ، وكان لا يكف عن
الركض هنا وهناك .. ويلحق المحفة بعينيه وجسده
الصغير ..



ورجال الإسعاف يحملون على محفة ما جسدًا مغطى بملاعة ملوثة بالدم ..

واقشعر جلدی عندما فهمت ..

الآن لاجابة بى إلى أن أكشف الملاءة كى أعرف
من ينام على المحفة ..

★ ★ ★

٥ = شاي وسردين وكلب وجريدة .. (تعرفون بالطبع هذه المواقف)

القانون الرابع :

الباقون منا ليسوا أخوة لك .. الباقون هم أنت ..

★ ★ ★

ما زلت فى الشارع أرمق هذا المشهد المؤلم
الكئيب ..

بالطبع لم أجسر على الدنو لسؤال رجال الشرطة عن
كيفية موت الفقيد ، لأن رجال الشرطة البريطانية شديدي
الكفاءة لكنهم ليسوا ودودين على الإطلاق ولا يحبون
الفضول .. هذا بالطبع ما لم يحملونى إلى (سكوتلانديارد)
لاستنطاقى عن سبب تواجدى هنا ..

لم يكن أحد يهتم بالكلب .. فى عاصمة الكلاب فى العالم

لا يشكل هذا الكلب الصعلوك البائس أى ثقل ولا يلاحظه أحد ، وقد أوشكت أحذية القوم الثقيلة على هرسه أكثر من مرة فى حركاته الهستيرية غير المنسقة ..

فى النهاية اندلعت السرينات ثانية ، وتحرك ركب السيارات .. ووجدتنى أقف وحدى تحت الأمطار أرمق الشارع الخالى جوار محطة المترو ..

حقاً لم أستطع التخلّى عن الكلب الصغير .. لم أستطع قط .. لقد مات (أبوه) وصار يتيمًا لا يعرف لنفسه مكانًا فى هذا العالم القاسى الممطر .. ودون كلمة أو إطالة تفكير انحنيت وحملتة حملًا مع الشاى والمعلبات ، ففى كل كبد رطبة أجر ..

كان فى حالة نفسية سيئة وقد حاول التملص منى مرارًا أو عقر يدى ، لكنى كنت أرتدى القفاز ، وكان ضعيفًا هشًا كالأرنب كما قلت .. ولحسن الحظ كان عواؤه من الطراز الواهن الذى لن يجعل الجيران يشكوننى إلى الشرطة ، وكل الجيران الإنجليز - إن لم تكن تعلم - يعشقون إبلاغ الشرطة عنك لأى سبب ..

عنت لدارى وفتحت الباب وألقيت بالكلب على الأرض
إلقاء .. لا أنوى الاحتفاظ به طويلاً لكن من حقه أن
يرحل حين تنتهى الأمطار .. فتحت علبة من السردين
وضعتها كما هى على جريدة أمامه .. لكنه لم يبد أى
اهتمام بها .. راح ينبج ويتحرك بتلك الحركات العصبية
التي تثير الذعر فى نفوسنا كأنها النذير ..

لو كان هذا الكلب محترماً - ولا أظنه كذلك - فلن
يزوق الطعام حتى يموت ويلحق بصاحبه .. قلت له
بالإنجليزية العامية كى يفهمنى :

- « حاول أن تتمالك .. صاحبك كان سكيراً ومهمشاً ،
ولا أعنى بذلك أنه استحق ميتة شنيعة كالتى لابد أنه
مر بها ..

لكن المجتمع لم يخسر الكثير بفقده ، ولو كنت
مكانك لنسيته .. الكلاب الذكية هى التى تعرف متى
تبدأ البحث عن سيد جديد .. »

لكن هذا لم يحسن حاله كثيراً ، الأمر الذى أكد لى أنه

لا يتقن إلا لهجة (الكوكنى) التى كان صاحبه يتكلم بها ..
قدمت له شيئاً من اللبن وجلست أتأمله وأفكر فى
الموضوع ..

طبعاً صاحبه مات .. وموته لا علاقة له بما قاله لى
(عنهم) ، فمن الذى يعبر كلمات مجنون أهمية من
أى نوع ؟ فى الغالب انزلت ساقه تحت المترو فى الوقت
غير المناسب ، وعلى كل حال أعتقد أن صحف الصباح
ستكتب شيئاً ما عن الحادث .. ولكن

ما هذا الشيء الأحمر فى عنق الكلب ؟ وكيف لم أراه
من قبل ؟

ركعت على ركبتى وربت على عنقه لأفحص هذا
الشيء .. إنه جرح دام بالفعل .. لكن الدم تجلط فلم
يعد ينزف .. جرح قبيح جداً ، ولو كنت طبيباً شرعياً
لقلت إنه بفعل أسنان حادة .. لكنى لست والحمد لله
طبيباً شرعياً وإلا لامتلأت رعباً ..

كيف حدث هذا ؟ ومن يجرو على عض كلب ؟ الأمر

واضح جلى إذن ، وهو أن هناك ذئبًا أو كلبًا مسعورًا
من نوع ما يجول فى أنفاق المترو .. هل هو الذى
قتل الرجل ؟ هل اشتبك معه الكلب الصغير محاولاً
إنقاذ صاحبه ؟ لا أعرف حقاً ، لكن على أن آخذ هذا
التعس إلى طبيب بيطرى غذا .. لابد أن هناك واحداً
قريباً ..

أما الآن فقد حان وقت النوم .. لقد تأخر الوقت
حقاً ..

★ ★ ★

فى الساعات الأولى من الصباح التالى ساءت حالة
الكلب كثيراً ، وراح يرتجف وبئن ويتشنج .. ولم
أعد أعرف ما يجب أن أعمل به .. أنا طبيب لكنى
لا أعرف شيئاً عن الحيوانات العجماء ولا أفهم إن
كان هذا الكلب مريضاً أم حزيناً .. وقد حاولت معه
كثيراً جداً لكنه لم يتحسن ..

وبعد ساعة لفظ أنفاسه الأخيرة .. لم يكن احتضاره

سيئاً أو قاسياً بل بدا لي كأنه وجد الراحة أخيراً ..
الحق أنه كان مشهداً أليماً وجد مكانه على الرف بين
ذكرياتي السيئة على كثرة ما رأيت في حياتي .. وكنت
أحسب أنني لن أتأثر كثيراً لوفاة كلب بريطاني ..

حين انتهى الأمر وجدت نفسي أمام المأزق الأكبر :
كيف تتخلص من جثة كلب في (لندن) ؟! من السهل
هنا أن يقتل المرء زوجته ويدفنها في الحديقة ، ويزرع
فوق قبرها بعض زهور (الجلاديولس) التي كانت
تحبها ، لكن من المستحيل أن تتخلص من جثة كلب
دون أن تنقلب (لندن) عليك ويظهر لك رجال الرقابة
الصحية من كل صوب ، ولربما اتهموني بقتله وقضيت
عمرى في السجن ..

المهم أنني تخلصت من الجثة بطريقة شبيهة بأساليب
رجال المافيا ، وتمكنت من إلقائها في الفناء الخلفي في
هذه الساعات الأولى من الصباح ، مع تغطيتها بالكثير
من أوراق الجرائد وأوراق الشجر وأية أوراق أخرى ..
عدت لفراشي وغرقت في النوم العميق الملىء بعربات

المترو والكلاب والمجائين .. وحين صحت من النوم كانت الساعة الثانية عشرة ظهراً .. لقد تسبب حادث أمس فى إفساد كل جدول مواعيدى لهذا اليوم ..

نزلت إلى الشارع إلى نفس المتجر الباكستانى فابتعت بعض الصحف لهذا اليوم ، وعدت إلى دارى لأطالعها مع الإفطار المتأخر ..

بعد تدقيق وقراءة ممعة تمكنت من العثور على الخبر الذى كنت أريده .. هذا رجل ناقص الأهلية - بلا اسم - تم العثور على جثته مساء أمس فى محطة المترو فى (ميدل إكس) ، ويبدو أن سبب الوفاة نوبة قلبية .. لكن الجثة كانت تحمل آثار أسنان .. كأنما هاجمها وحش ما بعد الوفاة .. وهذا ذكر الصحافة بحادث مماثل وقع منذ يومين لفتاة إنجليزية بيضاء تدعى (إليزابيث مورتون) ، وجدوها ميتة وجثتها تحمل آثار أنياب .. كأنما تعرضت لهجوم كلب مسعور ، وفى الوقت ذاته أبلغت صديقتها السلطات عن تعرض الثلاثة لمطاردة من بعض الأوغاد مسلحين بكلبين ضخمين ..

إن أى شىء يمكن أن يحدث فى (أنبوب) لندن هذا ..
لكن الآن يمكن القول إن الكلاب هى من قطعها فى المرتين ..
مع العجوز لم يكن بوسع قلبه تحمل الضغط العصبى ..
وهاجمه الكلب بعدها .. بينما الفتاة هوجمت حية ،
ولدينا هنا شهادة صديقتها ورأى الطبيب الشرعى
الذى - بالطبع - لا يخدع فى هذه الأمور .. ثمة ضحية
ثالثة هى الكلب البائس الذى توفى من ساعات ، وإن
كنت لا أفهم حقاً كيف مات من جرح لا أراه سيئاً
إلى هذا الحد ، وعضات الكلاب ليست عاجلة السمية
مثل عضات الأفاعى .. لا بد أن فرصته كانت صفراً
وهو بين أنياب الكلاب الحقيقية الأخرى ..

معنى هذا أن هناك كلباً شرساً لا يقل هولاً عن كلب
بريطانى آخر هو آل (باسكرفيل) .. يبدو أن (البلد ذاهبة
إلى الكلاب) فعلاً كما اعتاد الإنجليز المتحفظون أن
يقولوا .. هذا الكلب يمرح حرّاً طليقاً فى شبكة المترو
العلاقة .. لا ليس حرّاً .. بل إن له سيّداً مجنوناً سادياً
يطارد به خلق الله ..

قلت لنفسى إن علىّ ألا أستعمل المترو فى الأيام القليلة الباقية لى هنا .. لقد كفت عن الإيمان بقاعدة (يحدث للآخرين فقط) من زمن ، وصرت متأكداً من قاعدة جديدة هى (يحدث لرفعت إسماعيل فقط) .. لو كان هناك مجنون يملك كلباً متوحشاً فى مترو أنفاق العاصمة البريطانية ، فلسوف أقابله بالتأكيد ..

على كل حال ستجده الشرطة حتماً .. إنهم أكفاء قادرون ، ولا بد أن أكثر من كمين ينصب الآن لهذا الرجل الذى لا أتمنى أن أكون مكانه .. أرى بعين الخيال الفتاة الشقراء الحسناء التى تعمل مع رجال (سكوتلانديارد) وتتم مراقبتها بعناية ، بينما هى تمشى وحدها بعد منتصف الليل فى شبكة مترو الأنفاق الرهيبة .. ولسوف يبتلع الأحقق الطعم ، ولسوف يهاجمها بكلبه .. عندها .. ارفع يديك .. لا تتحرك ! لا أدري إن كان رجال الشرطة هنا يطبقون اتفاق (ميراندا) الأمريكى ويقولون للمتهم : من حقا أن تلزم الصمت ، وكل ما تقوله قد يتخذ

ضدك فى المحكمة .. لا أدرى إن كانوا يقولون هذا
أم ينهالون ضرباً على المتهم دون مناقشة .. لكنه
بطة ميتة فى كل الحالات ..

★ ★ ★

نزلت فى المساء إلى المتجر لأبتاع شيئاً للعشاء ..
صحيح أن ما اشتريته أمس لم ينفد ، لكنى مازلت أتوق
إلى شىء ما لا أعرف كنهه .. إن عالماً بلا فول
وفلافل هو عالم لا يستحق الحياة فيه .. أعرف أن
هناك مطاعم للمصريين فى أكثر من مكان ، لكنى
لا أريد ركوب المترو فى ساعة كهذه ..

خرجت من عند البقال حاملاً كنوزى ، وكان المطر
قد بدأ يهطل مطناً جواً بهيجاً بعد كل ضباب النهار ..
مشيت عند الناصية التى تقود إلى مدخل محطة المترو ،
حيث كنت أمس أرمق سيارة الإسعاف .. و ...

شعور غريب ينتابنى بأننى مراقب ..

كيف يشعر الإنسان أنه مراقب ؟ ومتى تنبت له هاتان

العنان فى مؤخرة عنقه ؟ إنها موجودتان منذ الأزل
لكنه لا يعرف بوجودهما ، وأحياناً يطلق عليهما الحاسة
السادسة ..

ونظرت للظل الذى يرميه عمود النور المضاء على
الأرض المبتلة ، فعرفت أن حاستى السادسة ممتازة ..
هنا سمعت من يقول بلهجة الكوكنى التى يصعب
فهمها :

– « أنت سرقت كلبى أمس !! »

★ ★ ★

٦ - أن تدخل النفق ..

القانون الخامس :

الفطر لا ينمو إلا فى الظلام ، ونحن لا نقوى
إلا حين نخفى سر الأسرار ..

★ ★ ★

كان هو بشحمه ولحمه القليلين .. هو نفسه المجنون
الذى قابلنى فى المترو .. صاحب الكلب .. قتيل أمس !

الماء ينساب من حاجبيه الكثين ومن شعره .. فيضيق
عينيه أكثر ليتمكن من أن يرانى جيداً ..

أجفلت وتراجعت للوراء كأنما أرى شبحاً .. إنه
يترك ظلاً على الأرض فهو على الأقل ليس خدعة
بصرية .. هل هو ؟

ثم فطنت إلى ما لم أفطن له من قبل .. من قال

إنه مات ؟ الصحف لم تنشر صورته وأنا لم أر الجثة
على المحفة .. فقط اعتبرتھا قضية مسلماً بها أنه
مات ، لأن الكلب كان فى حالة تثير الإشفاق ، وكان
يطارد المحفة ملهوفاً ..

لم أدر ما أقول لكنه واصل الاتهام بشكل واضح :

« أنت سرقت كلبى .. رأيك أمس تحمله .. »

قلت وأنا أحاول أن أكون هادئاً :

« أنا لم أسرقه .. كان مجروحاً وأخذته لأرعاہ ..

ولكن أين كنت أنت ما دمت رأيت هذا كله ؟ »

« كنت متوارياً بعيداً عنهم ، ولم أجزؤ على اللحاق

به .. لأنهم كانوا سيعرفون !! »

فهمت .. دائماً (هم) .. (ماركس) فسر التاريخ بأنه

(محاولة إرضاء الشهوات) ، بينما هذا الرجل

الفيلسوف يفسر كل شىء بأن السبب الوحيد (هم) ..

عاد يسألنى بإلحاح عدوانى وهو يترنح :

- « وأين هو ؟ هل هو بخير ؟ »

ابتلعت ريقى وقد أدركت أن لحظة الحقيقة قد جاءت .. كيف سأخبره بهذا ؟ دعك من أنه مجنون ، فمن الجلى أن الصديق الوحيد له فى الكون كان هذا الكلب .. ليتنى ما نزلت أمس لشراء الشاى ، ولا الليلة لشراء البقالة ..

- « كلبك مات ! نعم مات .. تعذب كثيراً أمس طيلة الليل لكنه مات .. »

كنت أتكلم بينما وجهه يكتسى بالهلع والذعر والذهول .. شفته السفلى ترتجف وعيناه جاحظتان .. ثم تهاوى على ركبتيه كما فى مسرحيات قصور الثقافة عندنا ، وراح ينشج ويهتز أماماً وخلفاً .. كان بكاؤه يمزق نياط القلوب ، ونظر لنا أحد المارة فى فضول عابر لكنه لم يعرنا اهتماماً ، لأن من حقك فى (لندن) أن تجثو على ركبتيك وتلطم الخدين ، دون أن يلتف حولك الشارع كله ..

أما ما فطه بعد ذلك فهو أغرب شيء توقعته .. لم يمسك
بخناقى أو يصرخ طالباً الشرطة .. فقط راح يركض
متجهاً إلى محطة المترو ، وهو يردد بلا كلل :

- « سأريهم ! سأريهم !! آه ! لأحد يقتل كلبى ويظل
حيًا .. يحسبوننى سهل الهضم .. هه ! »

لقد جن هذا الرجل تماماً .. أعرف من البداية أنه
مجنون ، لكنه لم يفقد صوابه بعد إلى حد الجرى بهذا
الشكل .. لاشك فى أن مشكلته تكمن هناك فى محطة
المترو ، وأنا لا أفهم بعد حقيقة ما حدث أمس لكننى
سأحاول منع هذا الأحمق من إيذاء نفسه .. لاشك فى
أنه سيلقى بنفسه فى التهلكة .. سواء كانت هذه التهلكة
على يدى من آذاه أمس ، أو تحت عجلات المترو ..

مشيت حثيثاً من خلفه .. خطوت فوق أولى درجات
السلم الكهربى وتركته يحملنى لأسفل ثلاثة الطوابق
المكونة لمترو (لندن) ، ورحت أضرب بعينى ذات
اليمين وذات اليسار .. لم أره فى أى مكان .. أين
توارى ؟ من العسير أن تجد أحداً فى هذه الشبكة
العملاقة المعقدة ..

وعلى السلم الكهربى الصاعد كانت مجموعة من
الراهبات ، وسيد عجوز متأنق نظرى فى كراهية .. ثم
بعدها بدا أنه ما من مخلوق بشرى فى هذه المحطة ..

وقفت وحيداً فى الرصيف الخالى أنظر يمينا ويساراً ..
الحق أنه مكان مخيف حقاً بعد كل ما اكتسبه من
سمعة فى الفترة السابقة .. لحسن حظى أننى لست
محتاجاً إلى ركوب هذا الشيء .. لحسن الحظ ..

(هل هذا صوت عواء)

إن بوسعى الآن أن أعود لدارى وأتساعل عن
مغزى ما قاله هذا الرجل .. وفجأة رأيتهم قادمين
من بعيد ..

(لابد من أن أرحل حالاً)

لا يوحى منظرهم بالثقة أبداً .. هؤلاء مجموعة من
الأوغاد تكره بالتأكيد أن تفوتها فرصة التلذذ بتعذيب
شخص مثلى ..

رحت أجد السير مبتعداً عنهم ، متحاشياً لحظة

الانفجار .. حين أعلن أنا أنني ضحية مذعورة ،
ويعلن هؤلاء عن كونهم وحوشًا .. للأسف إن نهاية
الرصيف قريبة .. لن أتجاوزها أبدًا لأنه من الواضح
أن هذا ما يريدون ..

وقفت ناظرًا لهم فى ثبات وتحسست جيب المعطف ..
(حمدًا لله أنه معى ..)

وانتظرت حتى دخلوا مجال إبصارى المتهالك .. كانوا
ثلاثة لهم ملامح وعليهم ثياب الهيبى .. والهيبى فى
كل مكان من (لندن) فى هذه الحقبة ، لكنهم فى
الغالب مسالمون خاملون أشرف ما فيهم رائحتهم ..

لكن هؤلاء الثلاثة لم يكونوا من محبى السلام ولا من
هواة الخرز والزهور .. كانت الشراسة على ملامحهم
واضحة جليلة ، وعلى أنف كل منهم عوينات سوداء
تخفى نواياه وعواطفه ..

كاذبًا قلت لهم بصوت حاولت ألا يرتجف :

- « ليس معى نقود إن كنتم تبغونها .. لكن معى
بعض البقالة .. فهل تأخذونها ؟ »

وكنـت أعرف جيداً أن النقود لا تكفى هؤلاء ولو كانت
ملايين .. إنهم بحاجة إلى عـنف .. بحاجة إلى ضربى
وتهشيم عويناتى وتجريدى من المعطف ، ثم إلقاءى
فى الليل البارد بالخارج كى أصاب بالتهاب رئوى ..

قال أطولهم قامـة بأعرب لكـنة سمعتها منذ جئت هنا :

- « من أنت أيها الأجنبى كى نكتبه على قبرك ؟ »

- « أنا دكتور (رفعت إسماعيل) .. ولا أحب أن

يكتب اسمى على قبرى بحروف لاتينية .. »

نظر الفتى لمن حوله ، وقال ساخراً :

- « آه .. دوك !! لكننا لا نبغى البقالة يا دوك ..

إن الدماء هى ما نبغى ! »

لم يعد من مهرب أمامى .. ومن جيب المعطف أخرجت
المسدس ، وعالجت تـرباس الأمان فيه .. كنا فى الأعوام
السعيدة - قبل أن يصير خطف الطائرات عادة - حين
كان بوسعك أن تسافر بالطائرة حاملاً سلاحاً .. وأنا
لم أستعمل هذا الشئ ببراعة قط ، وما زلت أعطى

وأنا أحمله انطباع المهدد - بفتح الدال - لا المهدد
بكسر ها .. لكنه كما يقولون (صيت لا غنى) ..

لم يترك لى الفتى طويل القامة خيارًا لأنه وثب
على كالفهد .. وفى اللحظة ذاتها أغمضت عيني ،
وأطلقت رصاصة .. طاخ !! تردد صوتها فى كل
أرجاء المحطة ممزوجًا بالصدى ، لكن من الواضح
أن أحدًا لم يسمعه لأن المترو كان يدخل المحطة فى
هذه اللحظة بالذات واختلط الضجيجان ..

لا بد أننى أصبته .. لا بد أنه جرح جرحًا بليغًا ..
لم أعرف الحقيقة قط ، لأن الضربات انهالت على من
الجهات الست .. ركلات .. لكمات .. سيوف يد .. وتهشمت
عويناتى .. ثم طار المسدس من يدى بضربة عنيفة
بشئء معدنى ..

وسمعت من يسبنى بأفظع السباب ، ويقول وهو
يغرس مخالفه فى وجهى :

- « تلعب دور الرجل القوى ، هه ؟ لكن اللعبة لاتطم
فى المدارس يادوك ، وليست فيها بدايات متأخرة .. »



لأن الضربات انهالت على من الجهات الست .. ركلات .. لكمات ..
سيوف يد .. وتهشمت عويناتي ..

وفى اللحظات التالية غبت عن الوعي تمامًا .. لكنى
كنت أفيق من آن لآخر لأدرك أن هناك من يجرنى
على الأرض جرًّا .. يد تنقلنى ليد أخرى .. ظلام
دامس يغلفنى ، لكن الأيدى مازالت مستمرة فى
مهمتها .. أشعر كأننى جرح كبير مفتوح ..
وأتساءل : ترى هل ثقبوا رئتى ؟ وهل تحطمت
الضلوع ؟

رباه .. لو ظللت حيًّا فاترك لى بعض الأسنان فى
فمى .. لا تدعهم يسقطونها جميعًا ..
إنهم ينقلوننى .. لكن لأين ؟
وساد الظلام بعدها فلم أعد أدرى أين أنا ..

★ ★ ★

٧ - أن تكون معهم ..

القانون السادس :

عاملهم بأشرس ما تستطيع ، فالقسوة رحيمة
أحياناً ..

★ ★ ★

أول ما لفت نظري هو رائحة العطن ..

رائحة عفنة قوية كاسحة تتسلل إلى الخياشيم وتجعل
كل تنفسي عملية بطولية .. وكتمت أنفاسي ، لكن لم
أستطع .. ثانی شيء لفت نظري هو أنني محاط بالظلام ،
وأنني ممدد على أرض رطبة ، وأخيراً رأيت بعض
المشاعل حولي فأدركت أن هناك بشراً ..

كانت الكدمات تملأ جسدي ، وكلما حركت أصغر جزء
ممكن - وليكن جفني - كنت أشعر بأنني أنجزت عملاً
بطولياً يستأهل مكانه في تاريخ الملاحم .. لا توجد

كسور أو هذا ما أعتقد ، وأنا أتنفس جيداً دون ذلك
الألم الحاد الشنيع المميز لكسور الضلوع ..

الآن وقد اطمأنتت نوعاً إلى أداء آلاتي ، بقى أن
أعرف أين هذه الآلات ؟

سمعت من يقول بصوت رتيب وبلهجة عجيبة :

- « أنت بخير أيها الغريب .. ستعيش .. »

إن الظلام غير عادل .. إنه يجعلك فى وضع واه
هش .. وربما لهذا يحب رجال الاستجوابات أن يضعوا
المتهم فى غرفة مظلمة ويسلطوا عليه الكشافات .. نظرة
واحدة فى النور ستسمح لى بأن أفهم كل شىء وأتخذ
عدتى .. أما الآن فأنا لا أعرف إن كنت فى قبو أم فى
الإسكيمو .. ولا إن كنت محاطاً ببشر أم غيلان ..

قلت فى الظلام :

- « أريد أن أشرب .. »

شعرت بشىء يلمس شفتى .. هذا سائل لكنه ..
لا .. إنه مر الطعم لاذع قليلاً .. فتقلصت شفتى
اشمئزاً .. ومن جديد جاء الصوت :

- « نحن لانشرب الماء هنا أبدًا أيها الغريب .. »

كنت قد خمنت أن هذا نوع من الخمر في الغالب ..
لكنى أريد ماء قراحًا أيها الحمقى .. ماء .. من
جديد قال الرجل :

- « لقد تعلمنا صنع هذا المشروب ، لكننا في البدء
لم نكن نعرف شيئًا على الاطلاق .. وفي الأيام الأولى
كنا نشرب بولنا .. نيا ها ها ها هاه !! »

واتفجرت الضحكات من كل صوب .. هذه مزحة راقية
إذن وأنا لم أعرف هذا .. واضح من الضحكات أن
هناك نحو عشرة هنا ، وهم لا يتمتعون بالرقى للأسف
لأن ضحكاتهم تذكرنى بضحكات الجالسين في غرزة
(شيخة) عندنا .. هل تعرف هذا النوع من الضحك
الذى ينتهى دومًا بالسعال والبصاق على الأرض ؟

- « حاولوا أن تجدوا له بعض الماء .. »

وتحرك أحد المشاعل فبدأت أرى الوجوه بوضوح
أكثر ، وإن كنت أنظر من دون عوينات طبعًا .. كانوا

رجالاً .. لاشك فى هذا .. لكن النظرات الوحشية
المسعورة فى العيون البراقة ، والوجوه المتسخة
التي كادت اللحي فيها أن تلمس الأرض .. والثياب
التي تشبه الأسمال .. كل هذا جعل من العسير أن
تعرف أن هؤلاء رجال .. ومن رابع المستحيالات أن
تعرف عمرهم .. اللحية المشعثة المختلطة بالشيب
تعطى كل الرجال مظهر الستين ..

كما أن الأمراض الجلدية لم تكن نادرة هنا .. لقد
ميزت نحو ثلاث إصابات فطرية .. هذا الأنف المتآكل
والأصابع المتساقطة لدى محدثي .. أترأه الجذام ؟ هذا
فى الظلام فقط ، ولو سطع النور لاستطعت أن أجد
عشر إصابات أخرى ..

أما عن المكان فأدركت أننا فى شىء يشبه النفق ..
ليس كهفًا لأن جدرانہ منتظمة وهناك مواسير ماء
عتيقة هنا وهناك .. هذا مكان صنعه الإنسان ..

سألتهم وأنا أشعر بأن النور لم يحسن الرعب كثيرًا :

- « من أنتم ؟ »

لم يرد محدثى ، وقال فى تودة :

- « أنت قلت إنك طبيب .. »

- « أذكر شيئاً كهذا .. »

- « إنن عليك أن تعالج ما أحدثته يداك فى (توماس) ..

إنه ما زال حيّاً ويتألم كثيراً .. بعد هذا ستعالجنا
جميعاً .. »

عدت أسأله وأنا أحاول أن أستجمع جسدى المبعثر
على الأرض :

- « أين نحن ؟ »

- « تحت الأرض أيها الغريب .. تحت الأرض ..

ثق أن أحداً لن يجده لو كنت تفكر فى هذا .. »

- « ومن أنتم ؟ »

نظر لمن حوله واهترت لحيته ضحكاً .. بعد قليل

قال :

- « سمنا العشيرة .. هذا اسم كاف على ما أظن .. »

بعد قليل تحرك أحدهم فى الظلام ووضع تحت فمى
قدحاً صدأ .. لامسته بشفتى فى حذر فشعرت بمذاق
الماء الساخن .. صحيح أنه ليس أنقى ماء فى العالم ،
لكنه يصلح ..

سألت فى حذر قبل أن أشرب :

- « هل أنت متأكد من أنكم كففتم عن شرب البول ؟! »

لم يضحك ولم يعلق .. فقط قال وهو ينظر ليده :

- « ليس بولاً .. والآن عالج (توماس) .. »

تحركت دائرة المشاعل لتحيط برجل منهم على
الأرض .. تحركت على ركبتى لأدخل الدائرة وتفحصته
فى اهتمام .. وكان نائماً وسط بركة صغيرة كريهة
الرائحة ..

على الفور تذكرته .. إنه الفتى فارغ الطول الذى أطلقت
عليه الرصاص ، والذى كان ينادينى (دوك) .. كان
شاحب الوجه منهكاً لكنه لا يكف عن الأتئين .. وعرفت
على الفور أن كتفه ممزقة وقد تلوث قميصه بدم متجلط

غزير .. لقد نسيت الجراحة تمامًا ، لكنى أعرف على الأقل أن هناك رصاصة يجب أن تنتزع ، وجرحًا يجب أن يظهر ..

قلت لهم :

- « يمكن إنقاذه .. لكن ليس هنا ومن دون أية مطهرات أو أدوات .. »

- « اطلب ما تشاء ولسوف يحضره لنا (توماس) .. وتذكر أن حياتك مرهونة بما ستفعله وما ستكتبه فلا تحاول خداعنا .. »

نظرت للجريح وقلت :

- « كيف تتوقع من هذا أن يجلب دواءه لنفسه ؟ »

- « لن يذهب هو .. ظننت كلامي واضحًا أيها الغريب .. سيذهب (توماس) ، فمنظره مقبول قليلًا بالنسبة لمن فوق .. »

- « (توماس) آخر ؟ »

- « نعم .. كلنا هنا (توماس) ! »

نظرت له فى غياب .. كل المجموعة تحمل ذات الاسم .. هذا شىء يصعب فهمه بالنسبة لى .. ماجدوى الأسماء إذن ؟ لقد قابلت موقفاً مشابهاً مع (شعب الأطياف) لكن كان معهم حق وقتها ، فهم لم يكونوا بشريين .. لكن ما الذى يدعو مجموعة من البشر بعد عصر اختراع اللغة كى يفعلوا هذا ؟

كان قلمى ما زال فى جيب المعطف الداخلى .. كان المعطف الآن فى أسوأ حال ، وبدا أنه مجموعة من الثقوب يربطها خيط ما ، لكن القلم لم يتهشم بعد ومعه المفكرة .. فتحت المفكرة بينما قرب منى أحدهم المشعل ، وعلى الضوء المتراقص كتبت أول عقار أريده .. وتمنيت لو كان بوسعى أن أطلب عوينات جديدة كذلك .. لكنى حاولت التغلب على هذه النقطة بالتقطيب الزائد ، وهى طريقة يعرفها ضعاف البصر الذين يرفضون استخدام العوينات ..

لو كان هؤلاء القوم - العشيرة لا ضعاف البصر طبعاً - لا يعرفون القراءة فإن فرصة جميلة تنتظرنى .. إن الغد بهيج حقاً .. لكن على أن أتأكد ..

سألت (توماس) الذى يبدو مظهره مقبولاً كما

قالوا - ليس (توماس) لكنه (توماس) .. لا داعى
للخبط - وأنا أقرب المفكرة من أنفه :

- « هل الخط واضح ؟ »

نظر للورقة نظرة كنت أتوقعها .. نظرة خاوية
غبية مسطحة ، وقال :

- « جميل .. جميل .. استمر فى الكتابة .. »

وهكذا عرفت ما لى وما على ، وكتبت ما أريد من
أدوات ، ثم كتبت فى النهاية بخط واضح :

حاول أن تجعل الشرطة تعتقل حامل هذه الورقة أو تراقبه ..
لأننى سجين تحت الأرض فى قبضة زملائه ، ولا أعرف حقاً من هم
ولا أين أنا .. اسمى دكتور (رفعت إسماعيل) .. عنوانى هو

وانتزعت الورقة وناولتها لـ (توماس) فنظر لها
بعينين لا تفقهان .. ثم نظر لى محذراً :

- « إياك والألاعيب ! »

قلت له :

- « بالنسبة لسعر الدواء ، فلست متأكداً .. لكنى
واثق من أنك لا تم ... »

دون كلمة واحدة مد يده فى جيب معطفى وانتزع
الحافظة .. وفتحها وكبش كل ما كان فيها من مال
- ولم يكن ثروة لكنه كثير - ثم ألقاها فى وجهى إلقاءً ..
واختفى من أمامى .. هذا الفتى لا يتكلم ولكن يفعل ،
وهى صفة حميدة فى الرجال ..

نظرت للرجال كرهى الرائحة المحيطين بى ، وسألتهم
فى كياسة :

- « هل من مكان آخر هنا ؟ أعنى مكاناً به منضدة
أو ضوء أو أى شىء مناسب .. هذا ليس بالضبط
ما يطلق عليه مكان لو فهتمم ما أعنيه .. »

سمعت من الظلام من يقول لى :

- « ليس من مكان إلا هذا أيها الغريب .. لكنه رحب
كالعالم كله .. كل ماتحت (لندن) ملكنا .. يحسبون
أن لهم ما فوق الأرض ، لكنه ملكنا كذلك .. »

- « فهمت .. »

سمعت صوت صرير من مكان ما .. وعلى الفور

اتجهت المشاعل إلى مكان الصوت ، ورأينا فأراً كبيراً يتسلق ماسورة الماء محاولاً الوصول إلى مكان ما أكثر أمناً .. لكن المشاعل جعلته واضحاً كسحابة تعبر أمام الشمس .. بل كالشمس ..

- « (توماس) .. إنه لك !! »

قالوها في حماسة مفاجئة ، ولم أفهم ما سيحدث ولا كيف حدث .. لكنه حدث .. لقد هرع الأخ (توماس) - هذا (توماس) غير الأول والثاني والثالث - وتسلق الماسورة كالقرد وراء الفأر الذي لم يصدق مايجرى .. وبسرعة البرق هوى بقبضته عليه لياتقطه من ذيله ، ويقهقه مرحاً ..

أما المشهد التالى فإننى لن أحكيه لكنك تستطيع استنتاجه ..

ماذا فعل (جوناثان هاركر) حين عاد مضيفه (دراكيولا) من الخارج ، حاملاً العشاء الذى كان طفلاً رضيعاً ؟ لقد صرخ وصرخ ثم فقد الوعي .. لأننى

لم أتل هذا الترف .. تعرفون أنكم لا تفقدون أبدًا الوعي
حين تريدون هذا ..

هؤلاء القوم لن يجوعوا أبدًا .. كيف يجوع أكل
الفئران إذا عاش في قبو قديم ؟ بالضبط كما أن الحمل
لا يجوع أبدًا في مرعى خصيب .. ولكن من هم ؟
ما سبب هذه الحياة التي يحيونها ؟

ماذا يريدون مني ؟

على كل حال يمكن أن نتأكد من أن لهم علاقة وشقة
بالناس الذين يختفون في محطات المترو ، وفي ...
هم من كان العجوز يتكلم عنهم .. إنه يوم ... لا
يعرف ماذا ؟

كنت غارقًا في هذه الخواطر أحاول ألا أنظر إلى
الأخ (توماس) الذي كاد يفرغ من عشائه ، وأختلس
النظر إلى المصاب الذي يرقد مغمض العينين لا يكف
عن الأنين .. هنا جاء (توماس) الذي أرسلوه لإحضار
الطلبات ، وتناول مشعلًا كي يريني ما جاء به ، بنفس

الأسلوب الذى يتبعه المرضى عندنا حين يعودون للطبيب بالعلاج الذى اشتروه من أقرب صيدلية ، حتى لا يعطيهم الصيدلى سمّاً بدلاً من الفيتامين على سبيل المزاح ..

راح يرص أمامى ما طلبت : جفت .. مبضع .. زجاجة مطهر .. علبة من المضاد الحيوى .. ضمادات .. ورحت أراجع كل شىء فى ذهنى .. كان آخر ما وضعه أمامى هو الجزء الأخير من الوريقة التى أعطيته إياها .. الجزء السفلى الذى كتبت عليه استغاثتى .. وقال بوجه لاهية فيه :

- « هذه هى رسالتك فاحتفظ بها .. لقد استعملت الوصفة فقط ! »

لم أجرو على السؤال ، لكنه رآه فى عينى فقال :
- « كيف عرفت ؟ الأمر سهل أيها الغريب .. نحن لانقرأ لكننا لسنا أغبياء .. نعرف أنك أرسلت استغاثة معنا .. لو لم تفعل لكنت أحمق .. وكان يجب أن تكتب أصناف العلاج فى حالة ما إذا لم يستجب الصيدلى

أو لم يفهم .. لذا كتبت بضع كلمات كل واحدة فى سطر ..
ثم انتهت الورقة بسطرين كاملين لا يشبهان باقى الورقة ..
فلتقطع نراعى إن لم يكن هذان السطران هما الاستغاثه ..

« لم يكن من داع للمخاطرة .. مزقت هذا الجزء الذى
يبدو شاذًا فى الورقة على سبيل الاحتياط .. وأعتقد
من نظراتك أننى لم أكن مخطئًا .. »

لم يكن ثمة داع للإحكار .. إنهم حقًا - كما قال - ليسوا
أغبياء ..

أخذت شهيقًا عميقًا ، وقلت للفتى الجريح الممدد
على الأرض :

- « سيكون هناك الكثير من الألم .. الكثير جدًا .. »

قال لى (توماس) الواقف جوارى :

- « لا داعى للمواعظ أيها الغريب .. لقد اعتدنا الألم
حتى لم نعد نطبق الحياة من دونه .. »

وهكذا بدأت العملية القاسية ..

★ ★ ★

٨ - أسطورة العشيرة ..

القانون السابع :

كنا منهم .. اليوم صاروا لنا .. غداً يصيرون فينا !

★ ★ ★

لم يكن ما قمت به جراحة رائعة تدخل التاريخ إلى
جوار جراحات (هالستد) و (لستر) .. لكننى على
الأقل فعلت ما طلب منى ، ولم ينزف الفتى كثيراً ..
قال لى (توماس) وهو - كما لاحظتم - لم يتكلم
حتى هذه اللحظة :

- « الآن أيها الغريب سندخل إلى مستوى آخر
من الشبكة .. »

لم أفهم ما يخفيه ، لكننى - حدث هؤلاء القوم يحملوننى
حملاً أو يجروننى جرّاً عبر النفق .. قلت كلاماً ما

عن الألم الذى يمزقنى .. عن الجريح الذى يجب
تحريكه برفق .. عن .. آى !

لم يتركوا لى مجالاً للمناقشة ، وإنما راحت الأيدى
القوية تتناقلنى كالشئ .. وأدركت أنهم يهبطون من
مرتفع إلى آخر ، لنجد أننا فى النهاية مغمورون حتى
الخصور فى سائل لزج كريحه .. وهنا أدركت الحقيقة
التي غابت عنى كل هذا الوقت .. نحن فى المجارى !!
نحن فى شبكة المجارى العملاقة العتيقة تحت (لندن) ،
وهذا الذى نسبح فيه هو إذن ؟!!!!

- « لحظة ! أنا لا أريد أن أمشى هنا ... »

لكن هؤلاء لم تكن مهمتهم الأولى تنفيذ أحلامى ..
لم يكن من ضوء إلا من المشاعل التي يحملونها فوق
مستوى السائل ، وبدا لى أنهم ينعمون بوقتهم حقاً ،
بينما لم أستطع أن أتجاهل فكرة أننى أعيش كابوساً
مجسماً له ملمس ورائحة ..

فى نهاية الممر الكريه كانت هناك كوة عالية عن
مستوى السائل ، فتسلقها أحدهم ، ووقف هناك ومد يده
يعيننى على الصعود .. وسرعان ما كنت أدخل الكوة
وأزحف على ركبتي .. يا للاشمئزاز !! لو كان بوسعى
أن أغمس جسدى كله فى حمض النترك المركز
لفعلت الآن ..

أما المكان الذى دخلناه فلم يكن أفضل حالاً من ناحية
الظلام .. لكنه كان مزوداً بمشاعل من الداخل .. وأدركت
أنهم يقيمون هنا فى الغالب .. وسرعان ما تبينت أن
هنا رجالاً آخرين .. بل ونساءً .. بل وأطفالاً ..

الكل كان جالساً على الأرض أو منهمكاً فى أكل
شئ ما ، ويرمقنى فى فضول وكرهية .. وكان الجميع
يرتدى أسمالاً بالية قذرة لا يمكن أن تعرف لونها
الأصلى .. اللون الذى تجده على ثياب صبية الميكانيكية
عندنا ..

فى ركن المكان كانت هناك ماسورة مياه عتيقة
تهبط من أعلى وتصب تياراً من ماء دافق يبدو أنه



فى نهاية الممر الكريه كانت هناك كوة عالية عن مستوى السائل ،
فتسلقها أحدهم ، ووقف هناك ومد يده يعيننى على الصعود ..

نقى .. والماء ينحدر إلى أسفل ، ليحتشد على الأرض
ثم يجرى فى تيار منتظم نحو فتحة أخرى جوار الحائط ..

قال لى (توماس) :

- « يمكنك أن تستحم هنا لو أرئت أيها الغريب .. »

جميل أن أستحم .. لكن من العسير أن أنزع ثيابى
أمام غرباء ، ناهيك عن النساء الموجودات .. ثانيًا :
لم يكن الجو قد صار دافئاً فجأة .. صحيح أن باطن
الأرض كان أكثر دفئاً من الهواء الكاسر فى الخارج ،
لكن ما زال الاستحمام بماء بارد جهداً بطولياً ..

دنا (توماس) منى ووضع يده على قفاى وصاح
بلهجة غريبة :

- « هذا طبيب .. صحيح أنه آذى (توماس) ، وجرحه
لكنه أصلح ما أفسدته يداه ، وإننى لأرى أن نتركه
بعض الوقت هنا .. فالأمراض تفشت فى العشيرة ،
ونحن بحاجة لواحد .. وأؤكد لكم أنه لن يهرب .. »
هنا نهضت امرأة من بين الجالسين .. أقول إنها

امرأة فقط على سبيل الدقة التشريحية ، لكن الرجال كانوا أكثر منها رقة وفتنة ونظافة .. دنت منا وهى تغرس مخالبتها فى شعرها تهرش ، كأنما تحاول انتزاع فروة الرأس ذاتها ..

دارت حولى ومدت مخالبتها تعتصر ذراعى ، وقالت فى خشونة :

- « إنه هزيل كطفل .. ضعيف كهرة وليدة .. أرى أنه لن يستطيع الهرب .. »

قال لها (توماس) فى كياسة :

- « أعرف يا (توماس) أنه لو فعل لا نتزعت حنجرته بأسناتك .. »

غريب هذا .. حتى النساء هنا اسمهن (توماس) .. هؤلاء القوم مخابيل إذن ، وهذه المرأة أكثرهم جنونا ..

حنث رأسها ليصير شعرها أمام عيني يوشك أن يلمس أنفى ، وقالت :

- « لو كنت طبيباً فقل لى ما هذا الذى أصاب رأسى .. »

لم أجتز امتحاناً منذ الدكتوراه ، لهذا انتابنى التوتر للحظة ، ثم تذكرت أننى لست مطالباً بإرضاء هؤلاء القوم .. لكن أى طفل يمكنه تشخيص حالتها على كل حال .. الأماكن الخالية من الشعر فى رأسها كانت عدوى فطرية .. هذا طبيعى بالنسبة لقوم يعيشون فى المجارى كما رأيت .. ولعل هذا أهون الشرور ..

وعلى الفور جاء أكثر من واحد يعرض على شيئاً مماثلاً .. الآن تأكدت أن هناك أكثر من ثلاث حالات جذام فى هذا المجتمع العجيب .. هذا ما يبدو على السطح ، فماذا عن الأمراض الخفية ؟ عموماً حالات الجذام المشوهة هى حالات (محروقة) لم تعد معدية .. بينما الخطر كل الخطر فى المريض الذى يبدو مثلى ومثلك ، ولا يميزه سوى بقعة خفية مخدرة فى مكان ما من جسده .. إنه ينفث البكتريا مع كل زفير ..

قلت لهم وأنا أحاول ألا استنشق الهواء الملوث :

- « سأكتب لكم العلاج الذى أستطيعه .. لكن هناك أمراضاً متقدمة هنا ، ولا يمكن علاجها إلا فى مستشفى .. »

وضع (توماس) - (توماس) آخر لا تعرفونه -
يده على كتفى وقال فى رفق :

- « يجب أن تحاول أيها الطبيب .. لا بد من أن
تمنحنا سبباً يبرر إبقاءك حياً .. »

كان الأحمق يحسب علاج الجذام هو مرهم وقرصان
يبلعهما ..

عدت أسألهم وأنا أتوقع الأسوأ :

- « ماذا تأكلون ؟ انتم بالطبع لا تنوون تركى
أقضى جوعاً .. »

- « هناك فئران فى كل مكان فلا تقلق ! »

كنت أتوقع هذا .. لكن ما الذى يرغب هؤلاء القوم
على أكل الفئران إذا كان الخروج للعالم الخارجى بهذه
السهولة ؟ واضح تماماً أن الأخ الذى ذهب إلى الصيدلية
لم يبذل جهداً أكثر مما يحدث فى العالم العلوى .. من
السهل إذن أن يشتري لهم مخزوناً كافياً وأكياساً من
البقالة وأرطالاً عديدة من اللحم والدقيق ..

وكانما سمع أحدهم ما أفكر فيه (وهي ظاهرة يبدو أنها موجودة لديهم فعلاً ، كأنما حياة الظلام أرهفت حواسهم) ، فقال لى :

- « لقد اعتدنا لحم الفئران لعقود .. فلم نعد نتحمل طعامهم) .. لكننا سنجلب لك طعاماً يصلح لك .. »

وهكذا تم كل شئ بسهولة راقية .. كتبت لهم ما أريد من أدوية .. إن ما أخذه منى (توماس) يكفى الجميع ، ويكفى لأن أعالج العشيرة كلها على حسابى .. وفى هذه المرة لم أحاول أية الأعيب .. إنهم أذكىاء والغباء كل الغباء أن افترض أننى أذكى منهم ..

ثم إننى نهضت إلى صنوبر الماء المتساقط .. ونزعت من ثيابى ما هو ممكن .. لقد تغلب الاشمئزاز على الحياء .. ورحت أزيل كل هذه القذارة عن بدنى .. من الغريب أن الماء كان دافئاً كما كان الماء الذى شربته منذ قليل .. تخلصت من المعطف فلم يعد ممكناً أن أعيد ارتدائه قبل غسله بإحكام ، وغسلت السروال و(البول - أوفر) وكل مكان تسرب إليه السائل المقرز ، ثم - بالطبع -

لم أجد حلاً إلا أن أرتدى الثياب وأتركها تجف على ،
مع ما فى ذلك من خطر ..

قال لى أحدهم وهو يرمقنى فى فضول ودهشة :

- « تبدو مهتماً أشد الاهتمام بالخلاص من هذه
الرائحة .. نحن لم نعد نشمها أيها الغريب .. لقد
نسينا رائحة الهواء النقى ذاته .. »

ثم أردف وهو يشير إلى أحد المشاعل الذى وضعوه
مستنداً إلى جدار :

- « تعال واجلس جواره وحاول أن تجف سريعاً .. »
سألته وقد بدأت أرتجف بحق :
- « المياه ساخنة ؟ »

- « نحن نشعل جوار الماسورة ناراً من حين لآخر
كى نبقى المياه دافئة غير متجمدة .. ولو لم نفعل لما
وجدت ماء أصلاً .. وعلى كل حال لن تطول فترة
النيران .. »

- « لماذا ؟ هل تتوون الانتحار ؟ »

- « لا أحد ينتحر منا أيها الغريب .. لكن الهواء هنا نادر ، وليس من الحكمة أن نتركه للنيران تتنفس به .. لهذا نطفئ المشاعل ، ونخمد النيران فى هذه الساعة من كل يوم .. سنتركها لك بعض الوقت إلى أن تجف .. »
وجلست جوار المشعل أحاول أن أتحول إلى شرنقة آدمية ، أو أن أدخل الشعلة ذاتها .. طبعاً لم أجف .. لا أحد يجف بهذه السهولة .. لكن البلل بدأ يكتسب بعض حرارة جسدى ..

وبعد قليل عاد (توماس) بلفافة تحوى بعض الخبز والجبن ، فألقاها فى حجرى .. وعاد ليأخذ مكانه وسط رجال العشيرة .. الكل يرمقنى فى دهشة .. كيف يأكل هذا الأحمق شيئاً ليس لحم فئران ؟ نفس الدهشة التى نرمق بها من يأكل الثعابين ..

يبدو أننى نمت وأنا مستمر فى الأكل .. لأننى حين صحوت فيما بعد وجدت الطعام ما زال فى يدى وفمى ..

★ ★ ★

لا أدري كم من أيام مرت علىّ فى ضيافة العشيرة ..
لا يوجد هنا نور ولا ساعات .. لقد تلفت ساعتى من
قتال محطة المترو .. لكننى استطعت الحكم من درجة
خشونة لحيتى أن لى هنا ثلاثة أيام مرت كقرن طبعًا ..
يمكننى الآن أن أصف لك حياتهم بشكل أكثر دقة ..

إنهم جماعة لا يتجاوز عددها الخمسين .. عدد النساء
قليل نوعًا بالنسبة للذكور .. ربما لو فرضنا أن الذكور
ثلاثون والأطفال عشرة فالنساء ما بعد سن البلوغ عددهن
أقل من عشرة .. قلة عدد الأطفال مبررة طبعًا لأن من
العسير أن يكتمل حمل فى هذا المناخ غير الصحى ، فإن
اكتمل كانت الولادة شبه مستحيلة ، فإن تمت فمن العسير
ألا يموت الطفل خلال عام .. هذا جو لم يخلق للأطفال ..

كانت المجارى كلها ملكهم ، وهم يعرفونها كديارهم
ويتنقلون فيها بحرية تامة .. لكنهم يختارون أمكنة فسيحة
بعيدة عن البلل ليعيشوا فيها من آن لآخر .. وحياتهم
الاجتماعية لا تتجاوز الجلوس والصمت والبحث عن
الحشرات فى رعوس الأطفال ..

كما قلت هم لا يأكلون إلا الفئران والحشرات التى
تعج بها المجارى ، ولا وجود للطهى عندهم .. ويصنعون
شرابًا ما - نوعًا من الخمر - من بقايا الخبز التى يجلبها
أحدهم من الخارج ، فهم كما قالوا لا يشربون الماء
أبدًا ، لكنهم بالطبع لا يستغنون عن الماء كأي كائن
حى .. وإن كنت لا أعرف نفعه لهم فهم لا يغسلون
ثيابهم ولا يستحمون ، أو لم يسعدنى الحظ برؤية
أحدهم يفعلها ..

لا يوجد سلم طبقى أو اجتماعى ، لكنهم يثقون
بـ (توماس) - وهو (توماس) آخر فلا داعى للخلط -
الذى يكبرهم سنًا ، ويبدو أنه من يضع القوانين
ويشرف عليها هنا ..

بعض هؤلاء القوم يحلقون لحاهم ويلبسون ثيابًا
نظيفة نوعًا هى أقرب إلى ثياب الهيبى .. هؤلاء - مثل
(توماس) - يعملون كجنود الاتصال أو السعاة بين
هذا العالم والعالم الفوقى .. ويبدو أنهم أكثر رقيًا وتحضرًا
إلى حد ما .. ومن الواضح أن لهم مكانة عظيمة فى

هذا العالم باعتبارهم يطلعون على أعظم أسرار العدو ..
طبعًا لو خرج أحد هؤلاء الأرضيين إلى الشارع
البريطانى لتوقف المرور ، وتصايح الناس هلعًا ،
ولحملة رجال الشرطة إلى المصحة العقلية حالاً ..

هل من وجود للدين فى حياتهم ؟ بالطبع لا .. لكنى
أدركت أنهم يمارسون نوعًا من عقيدة عبادة الأسلاف
التي مارستها كل الشعوب البدائية تقريبًا .. الأجداد
والآباء موجودون ليراقبوهم ويحموهم ويؤذوهم إن
اقتضى الأمر على سبيل العقاب ..

وفى مجتمع كهذا لا توجد نقود طبعًا .. ما جدواها ؟
لكن التعامل مع العالم الخارجى يتم بطريقة سهلة
مريحة : نقودى ! نقودى العزيزة التى لن تعود للأبد
يشترون بها كل ما يلزم من دواء .. لكنهم - والشهادة
للّه - يشترون لى طعامًا أيضًا ، ولا أعرف ما سيحدث
يوم ينتهى هذا المخزون ..

أما عن ملامح هؤلاء القوم فهى إنجليزية تمامًا ..
لا يمكن أن تخطئ هذا .. لكن حياة الظلام والخوف

والقذارة حولتهم إلى وحوش كاسرة تخيف الناظرين ..
بالإضافة إلى تطورات بيولوجية لا أعرف متى
ولا كيف حدثت .. إنهم يرون جيدًا فى الظلام ..
ولا يتحملون ضوء الشمس أبدًا كمصاصى الدماء ..

هل اتضح الآن كل شيء ؟

بالطبع لا ..

أولاً : لم أفهم بعد من هم هؤلاء القوم ، ولا لماذا
يعيشون تحت العاصمة المتحضرة كأنهم فى عصر
الكهوف ..

ثانيًا : لم أفهم ما علاقة المجارى بمترو الأنفاق ..
هاتان شبكتان منفصلتان أتم الانفصال ..

ثالثًا : - وهو الأهم - ما هى خطتهم بالنسبة لى ؟

★ ★ ★

٩- عشاء خاص جدًا ..

القانون الثامن :

لا أحلام لنا إلا البقاء يومًا آخر .. ولا ذكرى لنا
إلا ميلاد العشيرة ..

★ ★ ★

إن لدى عيبًا خطيرًا أصرحكم به ، فأنتم لم تعودوا
غريبين عنى ..

أنا أمقت أكل لحم البشر .. بل - والأدهى - لا أطيق
وجبات العشاء التى يكون عمادها لحم البشر ..

متى عرفت أن العشيرة من أكلة لحم البشر ؟

لم يتأخر هذا الاكتشاف كثيرًا ، لأن لحيتى لم تنمُ إلى
حد أن تتحول من خشونة إلى لحية ..

كنا بعد منتصف الليل ، وقد عرفت هذا لأنهم حين
قال (توماس) وهو ينظر للرجال نظرة ذات معنى :

- « حان الوقت .. سيذهب (توماس) و(توماس) و(توماس) .. كونوا حذرين لأن الشرطة بالتأكيد وضعت كمائن في عدة أماكن .. لا تطمعوا في الضحية الهشة التي تقول : أنا ضحية .. فتاة تمشى وحدها أو رجل تبدو عليه مخايل الثراء .. أنا أتركهما وشأنهما ولا أنصح إلا بهذا .. ابحثوا عن المتشردين .. ابحثوا عن يبدو عليه الفقر ولا يهم أحدًا إن مات أم عاش .. »

ابتسمت في سرى وقد تذكرت ما تخيلته عن كمائن (سكوتلانديارد) .. هؤلاء القوم كما قلت ليسوا أغبياء أبدًا .. من الجلى أن ذكاءهم صنعتهم الفطرة وحياة الأخطار ، فهم لم يشاهدوا فيلمًا سينمائيًا ولم يقرءوا جريدة ..

سأله (توماس) وهو ينهض ويرتدى ثياب العمل :

- « هل نأخذ الكلاب ؟ »

- « لا .. إنها تعوى وهذه نقطة ضعفها .. عليكم

الاعتماد على أنفسكم .. »

نهض الرجال وقد تحولوا بالضبط إلى الصورة التي رأيتهم عليها من قبل : فتية هيبى مشاغبون .. يبدو أنهم اختاروا هذا التكر بالضبط لأنه أقرب إلى شكلهم الحقيقى ولن يكلف الكثير من الجهد .. بالطبع لم يكن (توماس) الذى جرحته معهم .. فهو مازال ناعها .. وكانت جروحه فى أسوأ حال ممكن لأن من المحال أن يلتئم جرح فى هذا الجو ..

وبعد دقائق اختفوا فى قلب الظلام ..

لم أدر عم يتحدثون ولا ماذا يريدون بالضبط .. لكنهم بالتأكيد يحملون ساعات عصية لبئس ما اختار إحدى المحطات فى هذه اللحظة .. لكنى مازلت لا أفهم علاقة المجارى بالمetro ..

رحت فى سبات مضطرب كدأبى منذ وصلت إلى هنا .. كوابيس تتداخل مع رؤى مع هلاوس مع أضغاث أحلام مع مشاهد مضطربة للقوم من حولى .. وكان آخر ما رأيت مشهد الرجال يحملون شيئاً ما ..

ومشاعلهم المترافضة تحيط به ، وتلقى على وجوههم
تعبيرات شيطانية مريضة .. رأيت جسداً آدمياً يبدو أنه
رجل .. نهضت غير مصدق وفركت عيني مرتين .. لم
أصدق أن هذا سيحدث وتمنيت أن أكون فقدت عقلى ..

وسمعت (توماس) يسألهم :

- « أترأه أتعبكم ؟ »

- « لا .. لقد سقط من أول ضربة .. والمحطة كانت
خالية .. »

وعلى الفور احتشد الجميع كالذئاب جالسين القرفصاء
حول ما كان رجلاً من قبل .. لاداعى لوصف المشهد
طبعاً لأننى أنا نفسى لا أحب أن أتذكره .. فقط أذكر
أننى قلت بصوت واهن والتنفس يرهقنى بحق :

- « أنتم لا تفعلون هذا .. لا أصدق أنكم تفعلون
هذا ! »

قال لى (توماس) وهو منهمك فى عمله البغيض :

- « لم لا أيها الغريب ؟ إن البروتين - كما تسمونه -
هو البروتين .. تجده في الدودة والفأر والخروف والإنسان ..
لكن الإنسان الواحد يكفي لتغذية العشيرة كلها بينما
نحتاج إلى عشرات الفئران لتشبعنا .. وليس بوسعنا
تربية الماشية هنا لو كنت تفهم ما أعنيه .. »

- « أنتم .. أنتم .. تفعلون هذا من زمن ؟ »

- « لا .. هذا هو التجديد في قائمة الطعام الذي
أدخلناه من عام .. ولكن لا تخف .. ستظل حيًّا حتى
نقرر أننا لم نعد نحتاج إليك .. »

وصاحت (توماس) المرأة الشرسة إياها :

- « إنه نحيل كقملة .. ولن يشبع طفلاً .. »

هنا فقط كان تماسكى قد انتهى .. وأعلن جهازى
العصبى الباراسمبثاوى أنه الأقوى .. تهاويت على الأرض
فاقد الوعي ، وأظن أنني قبلها صرخت حتى بح صوتى ..

★ ★ ★

الآن صارت الحقيقة واضحة أمام عيني ..

العشيرة مجموعة من الغيلان لا أكثر ، ومصير هؤلاء
الذين اختفوا فى المترو أسود من أى شىء يتخيله
رجال (سكوتلانديارد) .. يجب أن أفر .. يجب ..

ولكن كيف ؟ حتى لو تركونى فإسوف أضل طريقى
فى شبكة المجارى الرهيبة هذه ..

فى مساء اليوم التالى جلست جوار الجدار أرمق
السقف المظلم ، ولم يكن هناك إلا ضوء خافت قادم من
مكان ما ، عليه رأيت (توماس) يذنو ليجلس جوارى ..
كان يعرق قطعة عظم باقية فلم أجسر على النظر ..

سألته فى اشمئزاز :

- « من أنتم ؟ »

راح ينظر لبعيد ، ثم قال :

- « القصة طويلة أيها الغريب .. عمرها مائة عام ..
لا أدري إن كان من الصواب أن أحكيها ، لكنى أعرف

أنك لن تخرج من هنا إلا ميتاً سواء قتلناك نحن ،
أوجاعك الأجل .. »

هنا سمعت صراخ (ليزا) ..

★ ★ ★

كانت فى الثلاثين من عمرها .. كانت جميلة أنيقة
أو هذا ما استطعت رؤيته فى الظلام .. جاء بها
(توماس) - وهو يختلف عن أى (توماس) آخر -
وهو يحملها على كتفه كما يفعل رجل الكهف مع
أنثاه .. كانت تصرخ كصفارة إنذار .. وكانت تعض
كحيوان (الولفرين) .. وتخمش كالقط البرى ..

لكن القوى لم تكن متعادلة قطعاً .. وفى النهاية تلقت
بضع صفعات ، ثم وجدت نفسها على الأرض تحيط بها
النساء الشرسات ، وبعضهن جلس فوقها ليمنعها
من الحركة .. واعتصر قلبى حين تخيلت ما رآته من
أهوال .. من لحظات كانت عائدة لدارها ، والآن ...
مثلى أنا بالضبط ..

قال (توماس) وهو يمسح الدم الذى سال من
أنفه :

- « كانت على رصيف المحطة .. وخطر لى أن
من الخسارة تركها .. »

- « أنت متهور .. فلربما كانت هذه هى كمين
الشرطة المرتقب .. »

- « لو كانت كميناً فهم بارعون حقاً .. »

لن أتحمل المشهد التالى ، ولن أقدر على منعه .. لذا
صحت فى (توماس) وأنا أشعر أن أحشائى تتقلص :

- « هل .. هل ستفعلون بها ما حدث لـ .. للرجل
الذى ... »

قال بإسماً من وراء ملامحه القاسية :

- « نحن لا نأكل النساء .. »

هدأت قليلاً وقد بدت لى بعض سمات الفروسية
فى هؤلاء الغيلان لولا أن أردف :

- « نحن نعانى من نقص فيهن .. لذا نحضر أية فتاة هنا لنتزوجها !! »

حككت رأسى الأصلع محاولاً استيعاب هذه المظومة ..
حقاً ليس الموت أبشع مصائر الإنسان فى هذا العالم ..
قلت له :

- « لحظة من فضلك .. هل تعنى أنكم سترغمونها على ذلك ؟ »

- « بل ستقبل بكامل إرادتها .. بضعة أيام من الجوع والضرب وترضى أن تصير من نساء العشيرة وأماً لأطفالنا .. إن نصف نساءنا جئن من هذا الطريق .. ولو انتظرنا حتى تكبر الصغيرات فلسوف ننتظر طويلاً جداً ، بالإضافة إلى أن نصف العدد يموت .. لا بد من أن نفعل كالبعوض .. ننجب ملايين الصغار كي يعيش منهم المئات .. »

كانت الفتاة الملقاة تحت كومة النساء تصرخ فى هستيريا .. سائلة تلك الأسئلة المملة على غرار : من

أنتم ؟ أين أنا ؟ الخ .. وهذه هى مشكلة الإنسان .. كل واحد يعتبر نفسه حالة فريدة ويعتبر أن من حقه أن يعرف .. من الخير لها ألا تعرف بهذه السرعة فما زالت أمامها ساعات عصيبة مع العشرة .. ستزداد حكمة مثلى .. حكمة من الخير ألا تنالها الآن .. كما أنه ليس من العدل أن تعلم الأطفال معنى الموت ..

نظرت لى وتساءلت فى رعب :

- « من أنت أيها السيد ؟ تبدو لى مختلفاً عن هؤلاء القوم .. »

قلت لها فى تهذيب لا داعى له :

- « أنا سجين لديهم يا آنستى .. مثلك بالضبط .. اسمى (رفعت إسماعيل) .. طبيب مصرى .. وحالياً أنا معالج هذه المجموعة الممتازة من السادة المهذبين .. »

- « وماذا يريدون منا ؟ »

- « يمكننى أن أؤكد أنهم لن يقتلوك على الأقل .. »



كانت الفتاة الملقاة تحت كومة النساء تصرخ في هيستيريا .. سائلة تلك
الأسئلة المملة على غرار : من أنتم ؟ أين أنا ؟ إلخ ..

- « من هؤلاء ؟ هل هم غيلان ؟ ما سر هذه الوجوه الشائهة ؟ »

- « ثمة وباء من الجذام يجتاح هذا المجتمع الصغير .. فكرى فى الأمر كمستعمرة جذام أهلية لاتعرف الحكومة عنها شيئاً »

ولزمت الصمت .. لاداعى لمزيد من التفسيرات ترهق أعصابها ..

- « إنها جميلة !! انظر هذه القلادة ! هى ثرية كذلك !! »

قالت هذه الكلمات واحدة من النسوة اللاتى يكبلن الفتاة ، ورحن - كالضباع - ينتزعن كل ما لديها من حلى وزينة ...

وانتزعنت إحداهن شعر الفتاة .. اتضح أنه جمة صفراء ضخمة ، ووضعتها على رأسها المتسخ وراحت تتمايل يميناً ويساراً فى دلال ، وهى تفهقه كالفتوات فى موقف (عبود) ..

قلت لها فى سرى : لاتخافى يا صغيرة .. بعد أيام ستكونين شرسة مثلهن وربما أكثر ..

عاد (توماس) يجلس جوارى ، وقال فى فخر :
- « النساء ! لن يتركنها تفلت أبداً .. ما كنت لأضمن
ذات النتيجة لو تركت رجلاً لحراستها .. »
قلت له وأنا أحاول تحاشى سماع صوت الفتاة :
- « ما زلت لم تكمل قصتك بعد .. »
بصق على الأرض ، وقال وهو يداعب لحيته بمخالبه :
- « يمكنك أن تصغى أيها الغريب .. والفتاة كذلك
ستسمع القصة كى لا أعيدها مرتين .. »

★ ★ ★

١٠- أسطورة العشيرة ..

(ثمة هاجس غامض يقول إننى استعملت هذا العنوان من قبل)

القانون التاسع :

لا أحد يملك .. لا أحد يأخذ .. فقط الطعام والشراب
حق للجميع ..

★ ★ ★

بدأت القصة - والكلام هنا لى - من مائة عام ونيف ..
كانت إنجلترا هى جحيم العمال ، وكانوا يعيشون حياة
الفئران أو أدهى قليلاً .. وهو الجو الذى أوحى لـ (كارل
ماركس) و(انجلز) - وكلاهما كان يعيش فى إنجلترا -
أن الشيوعية وثورة العمال على أصحاب العمل لابد أن
تنشأ فى هذا البلد .. ومن الغريب أن إنجلترا صححت
مسارها ، وظفر العمال بحقوقهم وأكثر ، بينما بدأت
الشيوعية فى روسيا والصين وهى وقتها بلاد زراعية ..

المهم أن حال العمال فى إنجلترا كان فى الحضيض ،
و حين كتب (ه . ج . ويلز) قصته العظيمة (آلة
الزمن) ، تنبأ بأن هؤلاء العمال الذين يعيشون تحت
الأرض سيتحولون إلى وحوش قوية ، بينما السادة
الذين يعيشون فوق الأرض سيتحولون إلى كائنات
هشة غبية أقرب إلى الفراش أو الدجاج ..

فى هذا الجو الملحمى بالضبط كانت النساء يعملن ،
والأطفال يختنقون فى المصانع ، والرجال يكدون خمسة
عشر ساعة يومياً بلا أجر يذكر ..

وفى اليوم الذى نتحدث عنه كان هناك خمسة عمال
مع زوجات ثلاثة منهم ، يعملون فى شبكة المجارى
العلاقة تحت (لندن) .. من الغريب أن تعمل النساء فى
شبكة المجارى ، لكن هذا كان معتاداً وقتها ، وكان
الرجال فى حاجة إلى اليومية التافهة التى تنالها
زوجاتهم ..

متى حدث الانهيار ؟ لا أحد يذكر .. يبدو أن جزءاً من
السقف كان هشاً ، وقد سقط فوق هؤلاء لكن أحداً لم يمت ..

وحين أفاقوا من ورطتهم أدركوا أنهم سجناء ..
أدركوا أنه ما من سبيل للخروج ..

قضوا أيامًا سوداء في الظلام يصرخون ويحاولون
الخروج .. لكن من الواضح أن العالم الخارجى نسى عنهم
كل شيء .. ويبدو أن الانهيار لم يؤثر فى أرضية
الشارع .. ربما جرت بعض المحاولات للبحث عنهم
لكنها حتمًا لم تكن جدية إلى هذا الحد ..

يا لها من حياة !

إنهم يستعجلون الموت لكنه لا يأتى .. وهم ينتظرون
فى أقذر مكان فى (لندن) فى الظلام الدامس الذى
بدأت عيونهم تعتاده ..

وفى النهاية قال أكبرهم سنًا وهو عامل من
(ويلز) يدعى (توماس كوتون) :

- « يبدو أننا سنعيش .. لكن علينا أن نعرف كيف
نفعل هذا .. »

وكان الدرس الأول الذى تعلموه حين فرغ ما معه

من ماء أن يشربوا البول .. والدرس الثاى أن يأكلوا
الفئران .. لا أعرف حقا كيف يستطيع الإنسان أن يفعل
هذا ، لكن من الواضح أن عذاب الجوع والظما يفوق
أى اشمئزاز ..

وبعد وقت قصير وجدوا شرخاً فى الجدار ينز الماء ،
فانتهت مشكلة الظما بالنسبة لهم ..

وهكذا بدأت حياة من أغرب وأقسى ما يمكن تصويره
تحت (لندن) الغافلة المليئة بالمفكرين والحالمين
والعلماء .. كانت هناك مجموعة من الأحياء تعيش فى
شبكة المجارى وتحاول أن ترتب حياتها يوماً بعد يوم ..
ومن الغريب أن تتصور ما يصل إليه الإنسان من قدرة
على التكيف مع الوقت ..

لم يتمكنوا من العثور على فتحات للخروج .. تحولوا
مع الوقت إلى فئران ترحف فى الظلام .. بدأت الزوجات
ينجبين .. ظهر أول جيل من رجال النفق .. ومن الطريف
أن اسم الجميع كان (توماس) نسبة لمؤسس هذا
المجتمع ، وكراهية للأسماء التى يحملها من يعيشون
على السطح ..

ومع نمو الصغار كانت المبادئ الأولى قد بدأت تتشكل :
نحن وحيدون .. السادة فوق الأرض تخلصوا عنا ..
نحن هنا بسببهم .. إنهم أعداؤنا للأبد ..

ومع مرور السنين بدأت فكرة العشيرة تنمو ..
وكانت الحاجة لها ماسة مع ظهور كل الصغار الذين
لم يروا النور يوماً واحداً ، والذين لم يعرفوا لهم
وطناً إلا هذه الأنفاق العفنة ..

صاغ (توماس) فكرة العشيرة وصاغ قوانينها
العشيرة .. وهى عبارات ملتفة جداً يصعب فهمها لكنها
تدور حول الفكرة ذاتها : رفض الآخر والاعتراب ..

القانون الأول : لا أحد سوانا .. لأنه لا أحد يقبل أن
يكون منا .. (ومعناه ببساطة أننا لانبألى بالآخرين
ولانعمل لهم أى حساب لأنهم يرفضوننا ..)

القانون الثانى : ما يعرفونه لا يعيننا أن نعرفه ..
وما نعرفه لا يصدقه أحد منهم .. (وهو واضح
المعنى) ..

القانون الثالث : كل حياتهم لنا .. ودمهم مستباح ..
لكننا لا نبقى أموالهم لأنها منهم .. (مفهوم أيضاً) ..

القانون الرابع : الباقون منا ليسوا أخوة لك .. الباقون
منا ليسوا أخوة لك .. الباقون هم أنت .. (معناه أن علاقة
هؤلاء ببعضهم تتجاوز الأخوة .. إنها علاقة الذراع
أو الساق بصاحبها) ..

القانون الخامس : الفطر لا ينمو إلا فى الظلام ، ونحن
لا نقوى إلا حين نخفى سر الأسرار .. (دعوة للسرية
والكتمان)

القانون السادس : عاملهم بأشرس ما تستطيع ، فالقسوة
رحيمة أحياناً .. (هذا الكلام يعيننا .. العنف يخيف
الناس ويمنعهم من التدخل فى شئون العشيرة .. وبالتالي
يقلل ما سيحدث لهم من أهوال) ..

القانون السابع : كنا منهم .. اليوم صاروا لنا ..
غداً يصيرون فينا ! (كنا يوماً عمالاً لديهم .. اليوم
صرنا نخطفهم .. غداً نأكلهم ونهضمهم ليصيروا
جزءاً منا !!)

القانون الثامن : لا أحلام لنا إلا البقاء يوماً آخر ..
ولا نذكرى لنا إلا ميلاد العشيرة ..

القانون التاسع : لا أحد يملك .. لا أحد يأخذ .. فقط
الطعام والشراب للجميع .. (وهذه اشتراكية فطرية) ..

القانون العاشر : من صار منا لا يتركنا إلا إلى بركة
الديدان .. إنه الآن حر .. (وهو تحذير مخيف لأمثالى ..
بركة الديدان هى بالطبع مقبرة هؤلاء .. »

مر الزمن ومات الجيل الأول من الآباء .. إن التلخص
من الجثث فى شبكة مجار ليس بالأمر العسير على
كل حل .. وتكاثرت العشيرة فى ظروف بالغة الصعوبة ..
وما كان لأحدهم تعامل مع الخارج ، لكن بمرور الوقت
عرفوا أن بوسعهم - بالكثير من المخاطرة - الخروج
من فتحات البالوعات الجديدة التى وضعتها البلدية ..
وجرب بعضهم أن يخرج فأصابه الهلع من المدينة
المعاصرة ، بالإضافة إلى أن نور النهار ألم عيونهم جداً ..
وما لبث أن تعلم عدد محدود منهم أن ينتصر على

رعبه .. تمكنوا من سرقة بعض الثياب من شباب
الهيبي الذين ينامون على الأرصفة ليلاً .. وصاروا
يتنكرون من حين لآخر ويخرجون فى الليل .. هؤلاء
هم (توماس) و(توماس) و(توماس) وطبعاً
(توماس) .. لا يمكن أن ننسى هذا الأخير ..

هؤلاء الذين خرجوا تعاملوا نوعاً مع الخارج ، ونقلوا
بعض مصطلحات الحضارة إلى الداخل ، وكانت اللغة
الإنجليزية لم تنقرض كما توقعوا .. صحيح أن لغتهم
كانت عتيقة نوعاً ، لكننا فى (لندن) المعاصرة حيث
يستعمل كل واحد لغة إنجليزية خاصة به ..

أما الاكتشاف الأعظم الذى عرفوه فهو مترو الأنفاق
أو (الأنبوب) .. لقد تمكنوا من حفر عدة أنفاق تربط
شبكة المجارى بشبكة المترو بعد مغادرته المحطة ..
هكذا صار بوسعهم أن يدخلوا ويخرجوا دون مخاطرة ..

كان هذا حين بدأت الأمراض تتفشى فى المجموعة ،
وبصفة خاصة الداء الوبيل الذى يقضى على الإحساس
وتتآكل الأطراف منه (ومن المثير للتأمل أنهم فى الغالب

جلبوه من الخارج ، لأن الجذام لا ينشأ من عدم) ووجد الرجال أن عليهم تغيير نوع الطعام لأنهم افترضوا أن طعامهم هو سبب ما فيهم .. إن الفئران لم تعد تناسب الجميع بالإضافة إلى قتلها .. ونبئت فكرة الاغتذاء على البشر .. هذا مصدر جيد للبروتين بالإضافة إلى ما يبشر به من لذة الانتقام ..

وكانت العملية سهلة نسبياً لأن رصيف المترو كان يخلو من البشر عند منتصف الليل .. فقط لابد من واحد ينتظر المترو وحيداً .. يمكن تخويله ودفعه دفعا إلى الأنفاق المظلمة حيث ينتظره الآخرون .. ويجرونه من أحد الأنفاق التي تقود إلى المجارى .. وهناك يكون العشاء ممتازاً .. لم يرفض أحد الفكرة لأن من يأكل الفئران يمكن أن يأكل أى شىء آخر .. وقد استخدموا الكلاب أحيانا بعد ما حصلوا بالسرقة على ثلاثة جراء ربوها معهم .. وكانت الكلاب مفيدة دائماً فى تخويل الفريسة أو مطاردتها ..

فى البدء جربوا أكل النساء ، ثم وجدوا أنهم بحاجة

لبعضهن كزوجات حتى لا تنقرض العشيرة .. رأى
أنه من الخير لها أن تنقرض ، لكن رأيهم يختلف على
كل حال .. وقد خطفوا بعض الفتيات ، وعذبوهن ومنعوا
عنهن الطعام ، حتى أصبن بنوع من غسيل المخ
الكامل ، واتضمنن إلى العشيرة .. وبعد سنين يصرن
من المتحمسات المخلصات الكارهات للعالم الخارجى ..

بقى أن أقول إننى لم أعرف قط مصير المتسول
الذى حذرني من (هم) .. لكنى أعتقد أنه رآهم كثيراً
جداً ، وكان يخشاهم .. وفى ليلة رأى عملية قتل لم
تكتمل بأخذ الجثة إلى المجارى .. لابد أن الجثة شوهدت
وفر هؤلاء هاربين .. بينما حسبت أنا أنه هو القاتل ..
كلبه الصغير تلقى عضة قاتلة من كلب أو إنسان لايهم ..
المهم أنه مات .. أما الرجل فقد جرى إلى محطة المترو
متكلماً عن الانتقام .. فهل ظفروا به ؟

★ ★ ★

١١ - إلى النور ..

القانون العاشر :

من صار منا لا يتركنا إلا إلى بركة الديدان .. إنه
الآن حر ..

★ ★ ★

كمن يوماً مر علينا هنا ؟ لا أدري حقاً ..

الفتاة ؟ إنها جالسة فى الركن متكومة على نفسها
لا تفعل ولا تقول شيئاً .. فقط ترتجف ، وقد صار
مظهرها مثيراً للشفقة بعد كل ما سرقته النساء منها ..
النساء اللاتى جلسن فى أحد الأركان يلتهمن فأراً سميناً
ويتشاجرن عليه .. لم يقدم لها أحد شيئاً من الطعام ،
لهذا انتهزت فرصة معينة ورميت فى حجرها بعض
الخبز والجبن ، وأمرتها أن تأكل فوراً ..

ظلت ترمقنى فى غباء بعينين من زجاج .. وأنا
لا أطيق الغباء حين يتعلق بحياتى ذاتها ..

- « كلى يا حمقاء .. إن هذا الخبز ليس له إلا مصدر
واحد : أنا .. ولسوف يحرموننى منه لو عرفوا .. »
لكنها لم تقل شيئاً وظل الخبز ملقى هناك ..
- « أمرك أن تأكلى ! »

فلما طال الأمر مددت يدى ووضعت الطعام فى
جيبى .. ما دامت لا تنوى التفكير بطريقة عملية ،
فأست مستعداً للموت جوعاً بسببها .. ربما الموت
بطريقة أخرى غير الجوع كذلك ..
جلست جوارها ، وقلت فى تودة :

- « ما اسمك ؟ أنا لم أعرفه بعد .. »

- « (ليزا) .. أنا سكرتيرة .. لكنى كنت أزور صديقة
لى فى (هونزلو بيل) فى ساعة متأخرة .. »
ثم بعد صمت قالت لى :

- « هل لديك خطة ما للمستقبل هنا ؟ »

- « الهرب طبعًا .. لكنى لم أعرف كيف بعد ..
حتى لو تركونى أهرب فلن أجد الطريق المناسب هنا ،
وسأنتهى هيكلاً عظيماً وسط الماء الآسن .. »

نظرت للسقف وهمست فى غل :

- « لو كانت هناك فتحة مجار قريبة لأريتهم .. »

هذا تفكير جميل .. لكن العقل البريطانى لا يفهم أبدًا
أن (لو) أداة امتناع لامتناع .. وأنها تفتح بابًا للشيطان ..
وأنها .. حتى حيلتى القديمة بالتظاهر بالمرض لن
تجدى لأنهم سيسرعون بالتهاوى بنفس المنطق الذى
يسارع فيه الفلاح إلى ذبح البقرة المريضة كى يفيد
من لحمها ..

ثم حدث شىء غريب ..

★ ★ ★

لقد دخل أحدهم المكان الذى ننام فيه . فتحت عيني
فعرفت أن هذا (توماس) ..

هرع ليوقظ (توماس) و (توماس) والآخرين ..
ثم ركض ليطفئ المشعل الوحيد الذى كان ينير
المكان ، وهمساً صاح :

- « عمال المجارى ! تواروا بسرعة !! »

نهض الرجال والنساء ، وكممت الأمهات أفواه
أطفالهن ليخرسن ، على حين صاح (توماس) وهو
يخرج سكيناً عملاقاً :

- « غريب هذا .. لم يصل أحدهم إلى هنا منذ
مائة عام !! »

- « لا بد من مرة أولى .. »

وبالفعل سمعنا الضجيج لرجال يتكلمون عبر الممر
التالى للمجاور لنا .. وبدأ هدير آلة ما لعلها مولد
نور أو شفاط عملاق .. كانت تهز النفق الذى لم
يهتز منذ دهور ..

قال (توماس) وهو يلوح بسكين آخر (لأنه
توماس آخر) :

- « كم عددهم ؟ »

- « لا أدري .. ربما هم ثلاثة أو أربعة .. »

- « إذن هناك ثلاثة أنصبه من اللحم لكل منا .. »

حتى أنا لم أستطع أن أظل أخرس أمام هذه الحماقة ،
وقلت في كياسة :

- « ليست المشكلة في قتل هؤلاء .. المشكلة أنه

لا بد من أن يبحث عنهم أحد .. و ... »

ثم قررت أن ألزم الصمت نادماً على ما قلت .. ليس
من واجبي الحفاظ على سرهم ، لكنني لا أتحمل الحماقة
حين يمارسها أمامي أحدهم بوجه صلب ، حتى لو كان
في هذه الحماقة نجاتي .. وبالفعل همست الفتاة :

- « لماذا لا تصمت ؟ هل أنت معهم أم معنا ؟ »

فكر (توماس) قليلاً ، ثم غمغم وهو ينظر للسكين
مفكراً :

- « أرى أن علينا أن نهجم .. لقد تجاوزنا مرحلة

الصمت والخوف .. وفيما بعد لن نجدونا .. لا أحد
يستطيع تمشيط شبكة مجارى (لندن) مهما حاول .. »
حقاً هو محق .. لا أحد يمكنه تفتيش هذه الشبكة
العملاقة .. حقيقة عرفها البريطانيون من زمن ..
وفى أكثر قصص الرعب القوطى على غرار (شبح
الأوبرا) وسواها ، كان عالم كامل من الشر يعمل
داخل هذه الشبكة ...

بنظرة ذات معنى تفقدنا ، ثم قال لرفاقه :

- « فلتتوار النساء والأطفال ، أما كل قادر على
القتال فليتبغنى .. »

★ ★ ★

كنا الآن - نحن النساء والأطفال - نتوارى فى ما يشبه
الكهف الملىء بمواسير الصرف ومواسير المياه وله
ثلاث نوافذ تطل على ثلاث سراديب مختلفة .. ومن
فتحة مستطيلة تشبه الشباك كان بوسعى من منظور
مرتفع أن أرى الرجال وهم يعملون فى الظلام .. طبعاً

من دون عوينات كنت أرى خيالات ، لكنى تمكنت من فهم مايجرى .. وبالطبع اعتمدت على طريقة تضيق فتحة العين وتقطيب الجبين ..

كانوا أربعة ، وكانت معهم آلة عملاقة هى التى سمعنا هديرها .. تتلقى الكهرباء من كابل عملاق فوق الأرض .. وكان كل رجل من الرجال يضع على رأسه خوذة مضيئة كعمال المناجم ، ويحمل أداة تشبه حفار الطرق الذى نعرفه .. جوار كل منهم كانت حقيبة غذائه الصغيرة ، ومعها تورمس القهوة ، وكانت رائحة المكان تفوح بالغازات .. الميثان وكبريتيد الهيدروجين .. بينما هم يقفون فى السائل الكريه الذى يصل حتى الركبتين ..

يبدو أنهم هبطوا باستعمال الدرجات القديمة المنحوتة على جدران النفق فى السرداب المجاور ، لأن الحبال والأسلاك كانت تمتد إلى هناك .. وزحفت على بطنى ونظرت عبر كوة صغيرة على الناحية الأخرى ، فلم أر إلا الظلام لأن السرداب كان بلا أضواء .. عدت زحفاً على بطنى لأرمق مصير العمال ، وشعرت بعشرات

الأنفاس الكريهة تحتشد حولى .. لقد كان الجميع هنا يحاول أن يرى المعركة بوضوح واستمتاع ..

من هناك استطعت أن أرى أحدهم يلتفت للآخرين ، ويقول شيئاً ما .. والآخرون يكفون عن العمل ..

من هناك استطعت أن أرى التوتر فى وجوههم .. من هناك استطعت أن أسمع الصمت ، وللصمت أحياناً صخب يصم الآذان ..

ثم حدث الهجوم بسرعة وقوة لا يمكن تصديقهما ، وهما جديرتان بقوم يصطادون الفئران بأناملهم على كل حال ..

كان العمال ينهالون باللكمات على مهاجميهم ، لكن هؤلاء كانوا يتحركون بثقة فى النفس كالعادة ..

تراجع أحد العمال البؤساء للوراء ، وألصق ظهره بالحائط ، وراح يلوح مهدداً هذه الغيلان بالمشطاب الذى يحمله فى يده .. ورأيتهم يلتفون حوله فى دائرة ، وكأنهم يقولون له كلاماً على غرار : هلم يافتى .. لاداعى لهذا الألعاب السخيفة ..

لكنه واصل تحريك المثقاب محدثاً دوائر وهمية
فى الهواء ..

ثم سمعت صوت النباح من بعيد .. لقد وصلت
الكلاب .. وفى اللحظة ذاتها تهاوى أحد العمال بينما
حزت سكين (توماس) وريذاً مهماً فى عنقه ..

كانت الإثارة فى ذروتها والكل يرمق ما يحدث فى
نهم .. خاصة العامل الذى يرفض الاستسلام ، والذى
- فعلاً - نجح فى أن يخترق بمثقاله صدر أحد الرجال ..

نباح .. صياح .. صراخ .. هدير مثقاب ..

إن من لا يهرب وسط هذا السيرك الرومانى لن
يهرب أبداً ..

★ ★ ★

وزحفت على ركبتي إلى الكوة الأخرى ، وجرت
جسدى عبرها .. نظرت للوراء فوجدت الفتاة ترمقتى فى
توسل كى أخذها أيضاً .. لم يكن ثمة وقت لهذا .. فأنا
لا أعرف مدى الخطأ الذى ارتكبته .. ربما أنا مخبول ..



نظرت للوراء فوجدت الفتاة ترمقنى فى توسل كى اخذها ايضاً ..
لم يكن ثمة وقت لهذا ..

ربما أنا مجنون .. لن أسمح إذن بأن يدفع واحد آخر
ثمن خطاي .. ثم إن الفتاة ستمنحهم الوقت الكافي
كى يلاحظوا ما يحدث .. بينما لو فررت وحدى
لأمكننى أن أجلب النجدة ..

تكورت عبر الفجوة وتركت جسدى يسقط فى
الممر الثانى ..

لم يكن الارتفاع مخيفاً .. سقطت على الأرض
وسط السائل الكريه لكن ليس هذا وقت الاشمئزاز ..
تحسست حتى اصطدمت أناملى بالحبال والكابل على
الأرض فرحت أقفو أثرها كالمجنون ..

لست مخطئاً .. إن هناك نوراً من نوع ما ، ومعنى
هذا أن هناك فتحة قريبة من هنا ..

آلام صدرى تتزايد من فرط انفعالى لكنى أتحامل ..
لو كان معى (النتروجلسرين) لـ ... لكنى لن أموت
بقلبى .. ليس الآن .. ولو مت فلن أعرف هذا على
كل حال ..

فى النهاىة اصطدمت بالجدار ورأىة الدرجات منحوة
فىه ، ىتدلى فوقها الكابل محاطاً بالحبال .. ونظرت لأعلى
فوجدت فتحة ىدخل منها ضوء النهار خافتاً واهياً ..

دون أن أعرف أن هذه درجات ، وأن هذا الذى
على الجانب (درابزىن) قديم عمودى ، تشبثت ..
وبدأت أصعد .. أصعد .. لابد أن الارتفاع كان نحو
أربعة أمتار .. وكان بوسعى أن أسمع الآن صوت
السيارات فى الشارع وضجىج العالم الحقيقى .. وكان
بوسعى أيضاً أن أسمع صراخ العامل الأخير الذى
ىنتزعون روحه بعد ما أخذوا منه المثقاب ..

أخيراً صار صدرى خارج المجرور ، وفى مستوى
الشارع ..

عربة (فان) تقف هناك .. تخرج منها عشرات الكابلات
والحبال .. ولافتات من النوع الذى ىثبت على الأرض ،
وىكتب عليها (نأسف للإزعاج .. إصلاحات .. إلخ .) ..
وثمة ملاحظ جالس على الإفريز ىشرب القهوة من تورمس
كبىر .. فما إن رآنى حتى هب مفتوح الفم فى بلاهة ..

قلت له بالعربية (لأن اللغة الأم هي ما نستخدمه
فى الاستغاثة) :

- « أسرع .. هات نجدة حالاً .. »

ثم تداركت الأمر حين رأيت الغباء فى عينيه ،
فشغلت جهاز الترجمة الإنجليزية :

- « إن رجالكم فى ... فى ... النفق ... إنهم يـ...
يموتون ... أكلة لحوم بشرلو ... لو كنت تفهم ما ...
ما أعنيه .. »

وهنا خرجت اليد من فتحة المجرور .. لم أرها لكنى
شعرت بها حول كاحلى .. يد قوية حديدية تحاول
جرى إلى أسفل ثانية ! لم يكن هروبى سرياً تماماً !
ارتميت على الأرض وصرخت :

- « إنهم يحاولون أنـ... »

لم يفهم الرجل شيئاً لكنه رأى أن هناك من يحاول
جر رجل آخر إلى المجرور فراح يجذبني بقوة .. وسمع

أحد المارة الجلبة ، فلم يحتفظ بالبرود البريطانى
العديد وهرع بدوره يمد لى يد العون ..

وأخيراً بدأت ارتفع ومعى ارتفع أحد هؤلاء المسعورين
- لابد أنه (توماس) - وقد تحول بالفعل إلى مسخ
من فرط الشراسة والضوء الذى أعماه تماماً .. وكان
يزأر كالذئاب ويحاول أن يفتك بأى واحد يقترب منه ..

- « ما هذا الشيء ؟ لم لا تفعلون شيئاً ؟ »

كذا صاحت إحدى النساء فى هستيريا ، على حين
واصل الرجلان توجيه الركلات للمسوخ المتمسك بساقى ..
وفى النهاية تخلص منها وسقط فى المجرور من جديد ..
وغبت أنا عن الوعى ..

★ ★ ★

١٢ - هل هي الخاتمة حقًا ؟

القانون الحادى عشر :

لا يوجد قانون حادى عشر ..

★ ★ ★

قال لى المفتش (رادكليف) من (سكوتلانديارد) :

- « من حسن حظك أن عمال المجارى ماتوا وأن بعض الناس رأوا ما رأيت ، وإلا ما صدق أحد هذه القصة .. »

قلت له فى إنهاك وأنا أنظر إلى قدمى البارزة من تحت الملاءة :

- « لاحسن حظ فى موت عمال أبرياء .. لكنى برغم كل شىء سعيد لأنكم صدقتمونى .. »

قال :

- « لدينا شاهد آخر على صدق كلامك .. وهو عجوز سكير يدعى (إزكيال) .. إنه اعتاد أن يجوب المترو ليلاً نهاراً ، ومعه كلبه .. وقد رأى بعض هؤلاء القوم .. بل إنه رأى عملية اغتيال حدثت ليلاً وفر بعدها .. لكنه مصر على أنهم فتكوا بكلبه .. »

- « هذا صحيح .. لكنى أحسب أن شهادة رجل كهذا بلا جدوى .. »

- « لقد جن تماماً على كل حال .. البارانونيا هي بالضبط ما نمر به الآن .. »

جاءت الممرضة تحضر شيئاً .. فصمت المفتش حتى غادرت المكان ثم قال :

- « بالطبع لم نجد الباقيين .. مستحيل أن تجد أحداً فى شبكة المجارى .. قلت لى كم عددهم ؟ »

- « لن يقل عن الخمسين أبداً .. »

- « إذن هناك عشرون على الأقل منهم .. »

- « هل ظفرتم بثلاثين ؟ »

ابتسم فى ثقة وقال وهو يحك رأسه :

- « لم نظفر بهم .. لقد ظفر بهم المترو .. هؤلاء
المخابيل وقفوا فى طريق المترو فى أثناء اندفاعه
عبر النفق .. وكانوا يلوحون بالمشاعل والسلاح
الأبيض وكان معهم سدس .. »

سدسى لقد نسيته !

لكنى بالطبع لم أجروْ على إخبار المفتش أننى دخلت
الجزيرة البريطانية ومعى سدس لا تعرف عنه الجمارك
شيئاً .. فقط قلت :

- « وماذا حدث بعدها ؟ »

- « كانوا يحسبون أنهم فى عصر القطارات الأمريكية
العتيقة .. وحسبوا أنهم بهذا سيقطعون طريق المترو
ويرغمون السائق على التوقف .. لكن حتى لو أراد هذا

ما كان يستطيع .. اندفع ليدوسهم وهو يحاول يائسًا
أن يبطئ السرعة .. وأطلق آخرهم سبة وأطلق
الرصاص على واجهة المترو ، لكنها لم تصب
السائق ، وكان هذا آخر ما فعله هذا الكابوى
الأخير .. »

غطيت وجهى من هول الموقف فقال المفتش :

- لقد جمعنا من الأشلاء ما يوحى بأنهم ثلاثون ..
هل لديك تفسير لما فعلوه ؟ »
- « ليس لدى تفسير واحد .. »

ونظرت من جديد إلى الملاءة المجددة وقلت :

- « لا يوجد تفسير واحد .. هناك أكثر من تفسير
مجتمعة .. المرض الذى حل بهم .. إن الجذام ليس نوعًا
من الزكام لو كنت تفهم ما أعنيه .. لقد شعروا أن سبب
وجودهم نفسه قد زال .. وأن انقراضهم صار مسألة
وقت .. »

« أضف لهذا أنهم أدركوا أن أمرهم لم يعد سرّاً ،
وأننى سأخبر العالم بكل شيء ..

« أضف لهذا شعورهم الزائف بالقوة .. فهم لم
يعودوا يهابون العالم الخارجى ، وهجماتهم على محطات
المترو تشهد بهذا ..

« أضف لهذا رغبتهم الأخيرة المدمرة فى ترويع
العالم الخارجى ، وإحداث أكبر قدر من الأذى .. لونجح
الهجوم لكانت جريمة يهتز لها العالم : افتراس ركاب
مترو الأنفاق ! يبدو لى عنواناً شائقاً بحق .. ولو فشل
فهم لن يخسروا شيئاً وقد فقدوا كل شيء بالفعل ..

« لقد كان هذا الهجوم الأخير مشهداً يبعث القشعريرة
فى النفس .. المواجهة بين قوى الطبيعة الكاسحة
وبين الحضارة التى لا ترحم .. المواجهة بين الفطرة
الخشنة القاسية وبين الآلة ..

« كانت نتيجته معروفة سلفاً وأعتقد أنهم لم يندموا
كثيراً ..

« لقد ألفت العشيرة آخر ورقة لديها وخسرت ..
وكان هذا محتوماً .. »

★ ★ ★

وماذا عن الباقيين ؟

لا أعتقد أن أحداً سيجدهم .. ربما يموتون وربما
هم الآن فى المجارى يكونون عشيرة أخرى .. لن
نعرف أبداً حتى يختفى المسافر الليلى التالى
بلا تفسير ..

وإن كنت أرجح أن الأقوى والأشجع هم من مات
فى عملية المترو هذه .. بالتالى لم يبق سوى النساء
والأطفال و ... (ليزا) ..

ترى ماذا تفعله وتقوله الآن ؟ هل هى حية ؟ هل
ستغفر لى التخلّى عنها ؟

كنت آمل أن آتى بنجدة يا (ليزا) وكان هروبك
معى سيقضى علينا معاً ..

لم يبق سوى النساء والأطفال و ... الأطفال؟؟
لو ظل الأطفال أحياء فإن العشيرة عائدة لاريب
فى ذلك ..

لكنى سأكون بعيداً لأنى عائد إلى مصر أخيراً .. سيكون
فى مصر مترو أنفاق فى التسعينات لكنى لا أعتقد أن
العشيرة قادرة على الوصول إليه ..

★ ★ ★

وهكذا ودعت (عاصم إبراهيم) طالب الدكتوراه
النجيب وعدت إلى مصر منتظراً أن أبدأ حياة باسمه
نوفاً .. من العسير على أن أعيش أية فترة سعيدة
دون أن تنتهى بمصيبة ..

وكان الرقم المشنوم ينتظرنى .. ما تفاصيل هذا ؟
لاداعى للتفاصيل لأن هذه قصة أخرى ..

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

(د . رفعت إسماعيل)

مع القراء

أصدقائي ..

من جديد الصيف .. من جديد العرق والحرّ والذباب
وكل ما يجعل الحياة جحيماً ..

هذا إن لم ننس (رفعت إسماعيل) المزعج الذي
هو كارثة في حدّ ذاته .. أقترح ألا تقرّعوا حرفاً لي
إلا حين يأتى المساء بأحلامه وأنسامه .. عندها ربما
شعرتم براحة وحبّ لهذه السطور .. الحقيقة أن الجوّ
الذى تقرّأ فيه الكتابات مهم جدّاً ، ولو قرأت عن
الرعب ظهراً فى حرّ المواصلات ، لبدا لك مبتذلاً إلى
حد لا يُوصف .. ولو قرأت رواية معقدة مثل
(الحرب والسلام) وأنت فى العمل ، لبدا لك
(تولستوى) رجلاً رائق البال لا يجد ما يشغله ..
أرجوكم لا تقرّعوا (رفعت إسماعيل) إلا ليلاً !

ولنبدا الآن بلا إبطاء

● الصديق / محمود التهامي - طوخ :

لم يكن لى أى دور فى سلسلة (سلة الروايات)
لا بالاقترح ولا بالترشيح ، وإن كنت أصرّ على ظهور
سلسلة منفصلة لكتابات القراء ..

أكره أن أمتدح الأستاذ (حمدى مصطفى) فى كتيب
هو ناشره ، لكن هذا لا يغير من الحقيقة شيئاً .. إنه
الناشر الوحيد الذى يقدم اليوم فرصاً كهذه للكتاب
الشبان ، وقد قرأ الأعمال كلها بنفسه (وهو عمل
بطولى) .. هناك من خرجوا من السلة لتكون لهم
سلاسلهم الخاصة (مثل محمد سليمان) ، وهناك من
لم يوفقوا للاستمرار فى سلاسل أخرى .. هؤلاء صار
لديهم كتاب أنيق مطبوع يحمل اسمهم ، ويثبت أن أعمالهم
ليست أعمال هواة ، بل نشرتها دار نشر لها اسمها ..
هكذا تتجدد الدماء وتغن المواهب عن نفسها ، ولا ينسى
المؤلف يوم ذهب ليقابل (حمدى مصطفى) فى يوم

مطير من أيام (فبراير) حاملاً خمسين ورقة من
الفلوسكاب ، ليقول له : لماذا لا تجرب سلسلة رعب
يكون بطلها أستاذ جامعة عجوزاً ؟

لو كان (حمدى مصطفى) شخصاً آخر ، أو كان
من (آلهة الأوليمب) لما كنت تقرأ هذه السطور
الآن ، ولما سمع أحد عن (رفعت إسماعيل) ..

لقد ذهب فريق (الخنافس) البريطانى لعرض ألبومهم
الأول على أحد الناشرين الحمقى ، فلم يرفع قدميه عن
مكتبه ، ورأى أن أسلوبهم لا مستقبل له .. بعد أعوام لم
يعد للعالم حديث إلا عن (الخنافس) .. و(سلة الروايات)
هى المصفاة التى تأكد بها ناشرنا من عدم إهمال
مواهب الغد ..

أكره أن أكتب هذا فى كتيب ينشره هو ، لكنه
- غالباً - لن يقرأ هذا الكلام ، لأنه لم يعد لديه وقت يضيعه
فى قراءة كتّابه وأبنائه .. إنه - غالباً - يقرأ الآن كتابات
شباب مجهول من (منيا القمح) أرسلها له بالبريد ،
ويفكر : ترى هل يصلح ؟ هل له مستقبل ما ؟

● الصديقة / لبنى رشدى حاتم - القليوبية :

(لبنى) طالبة طب جعنتى أنتزه كثيراً جداً فى خطابها ،
لأنها مولعة بالأسهم وصفحة ٣ التى تلى صفحة ٥ ،
مع كتابة مقاطع عديدة بالإنجليزية .. للأسف لم أجد
الصفحة الأولى .. لذا سأرد على الرسالة ككل ، وألف
شكر على الكارت الموسيقى الجميل ..

شعورى بعد انتهاء كتابة قصة هو الخواء الجميل ..
خواء كالذى تشعر به البقرة بعد حلبها ، لو كان هذا
التعبير موفقاً .. مع شعور دائم بالقلق : ترى هل
كانت هذه القصة هى الأخيرة ؟ هل هناك كتيب آخر
حقاً ؟

لا أستخف بعقل أحد يا د. (لبنى) ، لكن طابع
السلسلة هو (ما وراء الطبيعة) لو كنت لاحظت هذا ..
أى أن موضوعنا كل ما هو غريب أو لا يُصدق ..
رأيت صديقاً لى شاهد فيلم (سوبر مان) وراح يسب
ويلعن هذا الاستخفاف بالعقول (لأنه لا أحد يطير) ..
إذن لماذا شاهد الفيلم أصلاً ؟

أراؤك مهمة جداً ، وإن كانت بعض القصص يستحيل
إكمالها مثل (بس .. بس .. ناو !) و(زنزانة
خريولسن) ..

طبعاً - كما لاحظت - لم تكن كل الأساطير مبنية
على الأعيب فى الظلام .. هناك فعلاً عالم غامض
لا نعرف عنه إلا القليل .. ويبدو أننى كفتت عن لعب
دور هادم الأساطير من زمن سحيق ..

بالنسبة للأسئلة الإنجليزية التى أرسلتها .. يجيب
عنها المؤلف كما طلبت :

١ - لماذا لم أدرس علم النفس ؟ لا أدرى .. قرأت
كثيراً فيه ، لكنى وجدت نفسى ميالاً للطب الباطنى ..
وعلم النفس مهم جداً لمن يهتم بالأدب ، كما كان
علم التشريح مهماً جداً للفنانين فى الماضى .. على
كل حال ليس التثقيف الذاتى شيئاً رديئاً ..

٢ - دراسة الطب شاقة حقاً ، ومن العسير أن يمارسها
المرء ما لم يعشق الطب أو يُجبر على عشقه !

٣ - يوجد دائماً وقت للكتابة .. فاليوم يتكون من أربع وعشرين ساعة .. لا يمكن أن نقضيها كلها فى الطب ..

شكراً يا (بنى) ، وبانتظار مزيد من الخطابات ..

● الصديق / عمرو الجارحى - القاهرة :

صديق جديد لطيف ، بيدى حبّه لـ (سالم) و(سلمى) ، ويرى الخلاص من الكاهن الأخير للأبد ، ويرى أننى أحسنت بنشر قصص القراء فى الأعداد ٢٢ - ٢٩ !

لا أدرى بماذا أردّ على (عمرو) .. لكننى سعيد بأنه قارئ مثالى ممن يدخلون فى الجو إلى هذا الحدّ .. وحين يقول الكاتب إنه تلقى خطاباً ، فـ (عمرو) يؤمن أنه - الكاتب - لم يكتب حرفاً فى القصة التى جاءت فى الخطاب .. لا بأس .. إن الإيهام هو اسم اللعبة ..

شكراً يا (عمرو) ..

● الصديق / هشام على محمد - القاهرة :

(هشام) من النوع الحائق الذى لا يكتب جملة واحدة دون ألفاظ على غرار (البرامج التلفزيونية

العفنة بمذيعاتها الغبيات ، والمشاهدون الحمقى
يرسلون تهانيهم النافهة لأقاربهم الجالسين على
مقاعد رثة) ..

الحمد لله لم يصبنى من الحظ جانب ، لكنه مندهش
لكونى رأيت العالم كله .. معنى هذا أثنى مليونير ، وغريب
أن أضيع وقتى فى كتابة روايات ثمنها قروش زهيدة ..
الحقيقة يا (هشام) أن أكثر رحلاتى كنت مدعواً فيها ،
أو على حساب مؤتمر علمى ما .. إن مدخراتى تكفينى
بالضبط للذهاب مرة واحدة إلى (روماتيا) دون عودة
طبعاً ..

ليس المؤلف مولعاً بالأدب الأمريكى بصفة خاصة ،
فتجربة الإنجليز والروس والفرنسيين أوسع وأكثر
ثراءً .. لكن من المستحيل أن يكتب أحدهم عن الرعب
دون أن يكون قرأ (لافكرافت) و (بو) و (كينج) جيداً
جداً .. كما أن أحداً لا يكتب قصصاً رومانسية دون أن
يكون قد قرأ (روستان) و (جوتيه) و (بريفو) .. دعك
طبعاً من الأدب العربى ، فهذه هى نقطة البدء دائماً ..

● الصديقة / فاطمة إسماعيل السيد - كفر الشيخ :

فى الحقيقة صعب أن أجد خطابك الأول يا (فاطمة) ..
لو كان قد وصل فهو موجود وسأجده حتمًا .. على كل
حال أنت لخصت جلّ ما كان به .. على كل حال أنا أقسم
البشر إلى نوعين : نوع تصل خطاباته لوجهتها ، ونوع
لا تصل .. بالطبع أنا من النوع الثانى ، ولم يصل أى
خطاب أرسلته فى حياتى لأية جهة .. حتى إبنى - وأنا
فى سن الأربعين - طلبت من رجل يريد أن يطمئنى كيف
يكتبون العنوان ، وكيف يلصقون الطابع .. لا خطأ فى
إذن .. إنه النحس لا أكثر ولا أقل ..

لا مشكلة هنالك فى كتاباتك الحزينة ولا حبّ (نزار
قباتى) و(كاظم الساهر) فالجميع فى سنك يفعل هذا ..
حتى صار خرق هذه القاعدة نوعًا من الجريمة على
ما يبدو .. هناك أحزان حقيقية وأحزان نخلقها لأنفسنا ،
والنوع الأخير أكثر ألمًا وأكثر إمتاعًا وشاعرية ، ويستحيل
الخلاص منه إلا حين تنبت أول شعرة بيضاء فى
مفارقنا ..

لن أطيل الكلام حتى لأضايقتك ، وأنت فى (مقر القيادة)
عرفتك - كما تقولين - لكن شعرك لا بأس به أبداً ،
ولسوف يردّ عليه المؤلف فى (فانتازيا) ..

شكراً و بانتظار المزيد ..

● الصديقة / ندى فلمبان - المملكة العربية السعودية :

شكراً على مديحك الرقيق - لـ (رفعت إسماعيل)
وليس المؤلف طبعاً - وأرجو أن تظل السلسلة على
المستوى الذى يروق لك ..

فى (حسنا المقبرة) ، لم آخذ الفتاة للمستشفى بعد
الحادث ، لأننى طبيب .. وقد قلت فى صفحة ٢١ إنه
لا توجد كسور ولا ارتجاج مخ .. وفى نفس الصفحة
رفضت الفتاة بحسم الذهاب إلى أية مستشفى .

شكراً على مديحك الرقيق لمصر .. أكثر المصريين
يحملون مشاعر مماثلة للمملكة العربية السعودية ،
خاصة أنها تضم قدس أقداس العالم الإسلامى ..

بخصوص صورة المؤلف على الغلاف الأخير ، يرى
عدد لا بأس به من القراء أن الصورة على الأعداد

الأولى من أيام (الفقر) ، بعدها فتح الله عليه واشترى بذلة وربطة عنق ! الحقيقة أن البذلة وربطة العنق يمكن استئجارهما دائماً بثلاثة جنيهات من عند (صلاح) مكوجى الشارع .. كما أن أكثر ستديوهات التصوير لديها بذلة وربطة عنق ومنظار جاهز لالتقاط الصور !

الفكرة هى أن الصورة الأولى قديمة جداً جداً ، ولم يكن مع المؤلف سواها ، حين طلبوا منه فى المؤسسة صورة حالاً ، كى تبدأ الماكينات هديرها المخيف . على كل حال ليس المفترض أن يكون المؤلف جميلاً أو قبيحاً ، ومهما بلغ قبحه فلن يكون مثل (دستويفسكى) الذى يتمنى المؤلف لو فقد كل شىء وكتب صفحة واحدة مثله .. الفكرة فى نشر صورة المؤلف عامة هى أنه يساعد - يساعدنى على الأقل - على تخيل صاحب هذه الأفكار ، ووضعه فى إطاره الصحيح فى ذهنى (نكى - أحقق - مدع - منافق - بارع - ضيق الأفق) ..

بالمناسبة : حاول (تولستوى) الانتحار فى صباه
بسبب قبحه الشديد ، ولحسن حظ الأدب العالمى لم
ينجح فى هذا ! أرجو ألا تدعونى إلى الانتحار إذن !

● الصديقة / ر . ع . أ - الكويت :

تقول (ر) إن الحلم ظاهرة غامضة ، وهى تؤمن
أن (هناك جزءاً من روحنا يظل فى أجسادنا ، والجزء
الآخر يهيم فى الكون ، وهو ما نراه فى أحلامنا ..
أريد أن أعرف هل هناك دراسة حول هذا الموضوع ؟
هناك جزء من أحلامنا يمكن تفسيره بنظرية العقل
الباطن ، وجزء ليس له تفسير .. لقد حلمت مرة
حلمًا اتصلت بعده بصديقتى فوجدت أنها حلمت بالنصف
الآخر من الحلم) ..

من الناحية العلمية البحتة يا (ر) أعتقد أن كتاب
(تفسير الأحلام) لـ (فرويد) قام بعمل جبار ،
وأنصحك أن تقرئيه فى ترجمة الدكتور (مصطفى
صفوان) الممتازة - دار المعارف - لأن هناك نسخاً
(مضروبة) منه لا تبغى سوى الإثارة ..

من الناحية الميتافيزيقية ، أوافقك تمامًا على أن
الحلم طلسم لم يحل بعد ، وهناك ظواهر عجيبة فى
الكون لا يمكن تفسيرها بالصدفة .. إن بينك وصديقتك
سيلاً روحياً لا شك فيه ، وكلاهما على طول موجى
واحد .. أرجو أن تقرئى قصة (لافكرافت) الجميلة
(خلف جدار النوم) .. فهى تمس ما تتكلمين عنه
مساً رقيقاً ..

• الصديق / طارق فوزى أحمد - القاهرة :

(طارق) فى السنة الرابعة من كلية التجارة ، عاش
تجربة دراسية معينة جعلته أقوى وأكثر إصراراً
على التفوق .. يحكى عن قراءاته وهواياته وكيف
أن كتاب (أنيس منصور) (عاشوا فى حياتى) ، جعله
يعرف أنه لا يعرف شيئاً .. هذه هى أهم معلومة
نتعلمها فى حياتنا يا (طارق) ، ولولاها لتحولنا إلى
دواب لاتفقه شيئاً .

يرسل تحيته لـ (ناجى على) و (رحمة أ. ط) و (وسام
محمد) ، وكل هؤلاء المتفردين الذين يملكون عالماً
داخلياً ثرياً ، وتذهلهم تفاهة وسوقية المجتمع ..

ثمة خطاب للمؤلف وخطاب لى .. أرد عليهما معًا
كالعادة .. ولا أفهم لماذا تقول إنك - طبعًا - لم تحب
(أسطورة تختلف) .. لا أجد أن كراهيتها أمر بديهي
كشروق الشمس وغروبها .. بالعكس أنا أراها جيدة ..
أنا لا أكتب قصة لا تبدو لى - حتى لو كنت واهمًا - جيدة
وقت كتابتها .. إن القصص كأطفالى .. أحبهم جميعًا
وأجدهم يستحقون الحياة جميعًا ، لكن - فى لحظات
تأمل معينة - أجد هذا الطفل أجمل من أخيه ، وأن
هذا الطفل أقرب من إخوته نوعًا ..

على كل حال .. لم أنجب بعد أجمل أطفالى ،
وما زلت أعتبر أننى هاوٍ يجرب أكثر الأساليب ، حتى
يصل إلى العمل الممتع حقًا ، والخالى من الثغرات ..
خطاب جميل يا (طارق) ويغرى بالاسترسال ، لكن
لابد أن يتوقف المرء فى لحظة ما ..

● الصديقة / سالى - المنصورة :

(سالى) أحبت جدًّا (أسطورة تختلف) - سامعنا
يا عم (طارق) ؟ - وكرهت الدكتورة (كاميليا) و(سالم)
و(سلمى) لأنهم ثقیلوا الظل ..

تشكو من ارتفاع مجاميع الثانوية العامة ، إلى حد أن ٩٧% لا تسمح بدخول كلية الصيدلة ولا العلاج الطبيعى ..
وتقول : أى تهريج هذا ؟

لست خبيراً تربوياً يا (سالى) ، لكن التعليم فى مصر يحتاج إلى وقفة كالتى وقفته أمريكا مع نفسها فى الستينات ، حين أرسل السوفييت أول بشرى للفضاء ، هو (جارجين) .. عندها بدأت أمريكا (ثورة المناهج) الشهيرة ، وعلمت التلاميذ كيف يبحثون ويستنتجون ، بدلاً من أن يلعبوا دور (الحمار يحمل أسفارا) .. ولهذا هبط الأمريكان على القمر ، ولهذا صارت أمريكا هى أمريكا ..

ولدينا - والحمد لله - خبراء تربويون ممتازون ، يمكن أن يحدثوا هذه الثورة ، خاصة وهم جميعاً يعلمون الصواب ، فقط لو أن أحداً أصغى إليهم دون أن يتجاهلهم أو يعاقبهم ..

● الصديقة / S.O.S - شبين الكوم :

طلبت منى أن أستعمل هذا الاسم فاضطرت لشطب

ما سبق أن كتبته .. والخطاب ظريف جدًا ، تقول
فيه إننى الوحيد الذى تثق به وترتاح إليه لأنها لم
تتعامل معه بعد !

حالة أصدقاء خائنين معتادة جدًا لدى الشابات ،
حيث يشعرون بأن الصديقات كلهن كذوبات منافقات ..
أنت فى فترة غليان نفسى بيولوجى معروفة . وروح
الفتى أو الفتاة تكون وقتها كالجلد المحترق يؤذيه
أى شىء حتى أنسام الهواء ذاتها ..

ولما كان ردى متأخرًا كالعادة - فلا بد أن مشكلتك
انتهت ، أو بدأت مشكلة أخرى أنستك الأولى .. هكذا
ترين أن دور (الشيخ الحكيم الناصح) لا لزوم له ،
وأن المشاكل تنتهى حين تنتهى ..

سررتى ثقتك يا S.O.S .. ويسعدنى أن أسمع منك
دائمًا ، وخطك جميل ومنسق لا كما تظنين ..

• الصديق / محمد على محمد على - الزقازيق :

شكرًا يا (محمد) .. النقد البناء ليس معناه المديح ..

النقد البناء هو الذى يضع يدي على عيوبى، ويعيد
ثقتى بنفسى .. النقد الهدام هو من طراز (إيه القرف
ده؟) .. هكذا .. بلا تفسيرات ولا اقتراحات ولا أى
شئ ..

تقول إنك لا تحب الإطالة ، ولا التفرع والتشعب
كما فى (حلقة الرعب) ، ولا تحب النهايات المفتوحة ..
ولا أدري لماذا تصرّ على أن (حارس الكهف)
نهايتها مفتوحة .. يبدو أن هناك خلطاً ما فى
مصطلح النهاية المفتوحة .. النهاية المفتوحة هى
التي تنتهى القصة بموقف غير مكتمل ملئ
بالاحتمالات والأسئلة ، وكلها متروك لخيال القارئ ..
(أسطورة مصاص الدماء) نموذج جيد جداً لهذا ..

فى (حارس الكهف) قابلنا الوحش وهربنا منه وقتلناه
وقدما التفسير .. فما (المفتوح) فى هذا كله ؟

أعتقد أن جرعة الرعب زادت فى الأعداد
السابقة - برغمى - لكن الرعب يختلف كثيراً عن
البشاعة ، وأنت لن تسر كثيراً بالقصة التى

تصف (الرجل الذى يجرى مفتوح البطن متلى العينين ،
ويتعثر فى أحشائه ، فيمسك بها كلب مسعور ويمزقها) ..
حتى لو كتبت أنا هذا فسوف تملئه بعد قليل ، وما تعطمته
على كل حال هو أنه كلما صغر سنّ القارئ كلما قرأ
القصة وهو (ينوى ألا يخاف) .. بينما يظل الرعب
الموحى - رعب (بو) و (ستوكر) - هو النوع الأرقى
والأبعد عن أسلوب الخضات ..

بالمناسبة : لم أستطع قط أن أحب سلسلتى أفلام
(الصرخة) و (أعرف ما فعلت الصيف الماضى) ،
وقد شاهدتهما من عام .. أعتقد أنهما مجرد مشاهد
مراهقين يذبح بعضهم البعض .. وقد شاهدت فيلمًا
اسمه (أسطورة حضرية) شعرت بخجل من
السيناريو المفكك الذى لا يصمد للنقد فيه ، ولو
كتبت أنا هذه القصة لعلّق القراء لى المشائق فى كل
ميدان عام ..

بانتظار المزيد يا (محمد) ..

● الصديقة / ل . ع - المنيا :

(ل) تقول إنها تربت فى مدرسة د . (نبيل فاروق) فى البداية ، ولم تستطع قط أن تحب (ماوراء الطبيعة) ، وفى يوم جربت أن تعيد قراءتها فبدأت تحبها ودخلت مدرستها ، لكنها لا تفهم كيف تكتب لى وأنا شخصية وهمية .. أقول لها إن أحب شىء إلى نفس الكاتب هو أن تغطى الشخصية التى ابتكرها ، تغطى عليه شخصياً ..

تقريباً كل خطاب يصلنى يحوى هجوماً - ربما بعض السباب كذلك - على المؤلف ، بينما أكثر الناس يحبون العجوز (رفعت إسماعيل) ، وهذا يسرنى ويسر المؤلف أكثر ..

تقول إن أكثر الفتيات يستعملن حروفاً بدلاً من اسمهن ، حتى لا يعرف أحد مشاعرهن الحقيقية .. والخطاب بعد هذا يتكلم عنها لكنها تطالبني بعدم نشر حرف منه ، كى لا يستنتج أحد العباقرة من هى ..

فقط راقّت لى العبارة التالية : « توقفت وسألت
نفسى .. ما الذى كنت تريدينه حقاً ؟ هل كان هذا
ما تريدين أم ما أراد والدك ؟ كانت الفكرة ملحة
عليك ، لكنك لم تسألى نفسك لحظة هل تريدين تلك
الكلية حقاً أم لا ... »

بهذه الكلمات المحكمة ، تتحدث عن مشكلتنا جميعاً ،
فى الحياة والدراسة والزواج و.... كل شىء ..

الخطاب جميل جداً ويدلّ على مشاعر مرهفة ، وولع
شديد بالفنون ، وذلك الحزن النبيل المميز للأدباء ..
لكنى لن أكتب منه شيئاً لأننى لا أرى (كم يعتبر أكثر من
اللائم) كما يقول الإنجليز (How much is too much ?) ..

بالمناسبة .. يمكن بالفعل الاحتفاظ بآلاف الخطابات ،
لو كان لديك صندوق حجمه مناسب ، ولو كنت
تتخلصين من المظاريف مثلى (بعد تمزيقها طبعاً حتى
لا تعرف المخابرات المركزية الأمريكية عنوانك) !

شكراً يا (ل) .. و بانتظار خطابات أخرى ..

• الصديق / عدنان غالب - اليمن :

(عدنان) قارئ ممتاز لشتى أنواع الأدب وقد لاحظ
ملاحظة صائبة أن كل من يحبون (رفعت إسماعيل)
هم بطبعهم ملولون ، وفيهم شىء منه ..

يقول (عدنان) إن أكثر أساطير الرعب اليمنية تدور
حول الجان والأخايد المظلمة فى أعماق الوديان ..
وثمة أسطورة رهيبة اسمها (نباش القبور) .. لهذا
كانوا يوقفون حارساً على القبر سبعة أيام ..

طبعاً يا (عدنان) .. أساطير كل شعب تتبع من بيئته ..
فى مصر تجد النداهة والمزيرة - أى الحقول والترع -
وعندكم أساطير الجبال ، وفى (رومانيا) أساطير
القلاع المسكونة إلخ ..

ينصحنى (عدنان) أن أزور اليمن لأرى سدّ (مأرب)
العظيم ، وناطحات السحاب فى الجنوب ، والقمم الخضراء
التي تغطى الجبال ..

شكراً يا (عدنان) وأنتظر المزيد منك ..

• الصديقة / حبيبة محسن - القاهرة :

تسألنى أن أنسى خطابها الأول .. سأنساه بالقطع
يا (حبيبة) لأنه لم يصلنى قط ، واسمك غير مألوف
بين أسماء من يراسلوننى ..

هى مدمنة قراءة لا تتوقف عن قراءة (لاتصالخ)
لـ (أمل دنقل) ، أو (أسطورة الكاهن الأخير) فى
أثناء امتحانات آخر العام ..

تقول إنها تكتب لأنها راغبة فى الحديث مع أشخاص
قادرين على قراءة اسم (أمل دنقل) بشكل صحيح ،
ولا يخلطون بين المرض النفسى والتخلف العلقى
وهى توافق الصديق (وسام محمد) على أمنيته
الرقيقة فى حرق ثلاثة أرباع المجتمع ..

الخطاب ملئ بمقاطع من (أمل دنقل) الشاعر
العبرى ، وأرجو ألا أكون أسأت الفهم إذ أنشر بريدك
الإلكترونى ، إذ افترضت أنك من هواة المراسلة :

bluedevil14@hotmail.com

لكن أفكارك لا يمكن أن تصدر عن سنك الصغيرة ..
أرى أن نهاية (أسطورة دماء دراكيولا) غير
مبتورة ، بل (أخذت راحتها) تماماً ..

الأخطاء اللغوية فى الفرنسية هى أخطاء مطبعية
غالبًا ، والسبب هو أننى لا أجيد الفرنسية فلا أعتمد
على الذاكرة ، وأنسخ الكلمات من القاموس نسخًا ..

الشاعر المعاصر الذى اتهمته بكثرة التجديف فى شعره
ليس (أمل دنقل) .. والحقيقة أن (حرية الإبداع)
هذه كلمة صارت كالقرش (الماسح) من كثرة تداولها
- كما يقول الأستاذ (محمد حسنين هيكل) عن تعبيرات
أخرى شاعت وباخت - ولا أحب المعارك ، ولا أحب
أن أتدخل فى الجدل البيزنطى الدائر من حين لآخر ..
لكن (حرية الإبداع) تتداخل أحياناً مع (حرية التجديف)
(حرية الوقاحة) .. لا بد من درجة ما من الرقابة ،
وإلا ماذا حرقت أمريكا آلهة شرائط المطربة (دونا سمر) ؟
ولماذا منعت أكثر دول أوروبا أفلام (التانجو الأخير
فى باريس) و (البرتقالة الآلية) و (الإغواء الأخير
للمسيح) ؟! هل هم أكثر منا انغلاقاً وجهلاً !!؟

لكن أى مشاهد لأفلام مثل (ماتريكس) و (قابل جوبلاك) وغيرهما ، لابد أن يتساءل : أين الخطأ ؟

المشكلة أن الواحد منا فى مصر قد لا يقرأ إلا كتابًا واحدًا فى حياته ، فلو كان هذا الكتاب يتناول على الدين .. فماذا تكون النتيجة ؟

وأخيرًا .. روضة الأفكار واسعة مليئة بالثمار والزهور ، فلماذا أترك كل هذا وأدس ذراعى حتى المعصم فى حفرة لا أدرى ما بها ؟

خطابك ممتع ومثير للجدل يا (حبيبة) ، فواصلى الكتابة لى .

● والآن قد توغلت الساعة ، ويبدو أن الفجر دان ..

سأترككم الآن فى رعاية الله ..

لحظة ..

كم خطابًا رددت عليه اليوم ؟ ستة .. سبعة .. اثنا عشر خطابًا ! حسبت أن العدد أكثر .. لا بأس .. هكذا لم يعد أمامى إلا الردّ على ٤٥٧٦٤١٣ خطابًا فقط ..

سأردّ عليها جميعًا .. لماذا ؟ لأننى مدين لكل من
كتب وأرسل ..

مدين للأبد ..

فى المرة القادمة إن شاء الله ، سأرد على ألقى
خطاب وربما أكثر !

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

عنوان المؤسسة هو ..

المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع

١٠٠، ٨ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية الرقم البريدى ١١٣٨١

روايات مصرية للحبيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس من فرط

الغموض والرعب والإثارة

• صدر من هذه السلسلة •

- | | |
|-------------------------------|------------------------------|
| 26 - أسطورة المواجهه . | 1 - أسطورة مصاص الدماء . |
| 27 - أسطورتنا . | 2 - أسطورة النداهة . |
| 28 - أسطورة آخر الليل . | 3 - أسطورة وحش البحيرة . |
| 29 - أسطورة الجاثوم . | 4 - أسطورة أكل البشر . |
| 30 - أسطورة بعد منتصف الليل . | 5 - أسطورة الموتى الأحياء . |
| 31 - أسطورتها . | 6 - أسطورة رأس ميدوسا . |
| 32 - أسطورة رفعت . | 7 - أسطورة حارس الكهف . |
| 33 - أسطورة أرض المفلول . | 8 - أسطورة أرض أخرى . |
| 34 - أسطورة الشاحبين . | 9 - أسطورة لعنة الفرعون . |
| 35 - أسطورة دماء دراكيولا . | 10 - أسطورة حلقة الرعب . |
| 36 - أسطورة الفصيلة السادسة . | 11 - أسطورة الكاهن الأخير . |
| 37 - أسطورة الدمية . | 12 - أسطورة البيت . |
| 38 - أسطورة النصف الآخر . | 13 - أسطورة اللهب الأزرق . |
| 39 - أسطورة التوءمين . | 14 - أسطورة رجل الثلوج . |
| 40 - وراء الباب المغلق . | 15 - أسطورة النبات . |
| 41 - أسطورة فراتكنشتاين . | 16 - أسطورة النافاراي . |
| 42 - أسطورة الكلمات السبع . | 17 - أسطورة حسناء المقبرة . |
| 43 - أسطورة تختلف . | 18 - أسطورة الغرياء . |
| 44 - أسطورة رجل بكين . | 19 - أسطورة بو . |
| 45 - أسطورة بيت الأفاعي . | 20 - حكايات التاروت . |
| 46 - أسطورة طفل آخر . | 21 - أسطورة عدو الشمس . |
| 47 - أسطورة المنزل رقم (٥) . | 22 - أسطورة المينوتور . |
| 48 - أسطورة المومياء . | 23 - أسطورة رعب المستنقعات . |
| 49 - أسطورة العشيرة . | 24 - أسطورة إيچور . |
| | 25 - أسطورة الجنرال العائد . |

فانتازيا

مغامرات ممتعة فى أرض الخيال

- | | |
|--------------------------|--------------------------|
| 15 - عدام فى البرج . | 1 - قصة لا تنتهى . |
| 16 - شبح وشيطان . | 2 - حكايات من والاشيا . |
| 17 - اقتلوا بطوط . | 3 - صفر... صفر... سبعة . |
| 18 - توم ومن معه ! | 4 - إمبراطورية النجوم . |
| 19 - خمسة منهم ! | 5 - ذات مرة فى الغرب . |
| 20 - من فعلها ؟! | 6 - خيول ورماح . |
| 21 - لا تدخلوا شيرود . | 7 - ألعاب إغريقية . |
| 22 - قلعة السفاحين . | 8 - مملكة الموتى . |
| 23 - أرض .. قمر .. أرض . | 9 - الخناقون . |
| 24 - فليدخل التنين . | 10 - الاسم شكسبير . |
| 25 - من أجل طروادة . | 11 - نداء الادغال . |
| 26 - عودة المحارب . | 12 - بين عالمين . |
| 27 - آخر أيام الرايخ . | 13 - رجل من كريبتون . |
| | 14 - من بعد سوبرمان . |

روايات عالمية للجيب

• صدر من هذه السلسلة •

- | | | | |
|---------------------------|----|--------------------------|----|
| صانع الأمطار . | 20 | فلاش جوردن . | 1 |
| الف ليلة وليلة الجديدة . | 21 | كنوز الملك سليمان . | 2 |
| سباق الموت . | 22 | دكتور نو . | 3 |
| كونفوشيوس . | 23 | حرب النجوم . | 4 |
| كلاب آل ياسكر فيل . | 24 | الفك المفترس . | 5 |
| مدينة مثل الياس . | 25 | فوق مستوى الشبهات . | 6 |
| الحزاز . | 26 | رحلة إلى مركز الأرض . | 7 |
| مطار (٧٧) . | 27 | الغيبوبة . | 8 |
| النطاق المسموم . | 28 | الشيطانة . | 9 |
| الجزيرة . | 29 | لقاءات من النوع الثالث . | 10 |
| لا تنظري الآن . | 30 | وجاء العنكبوت . | 11 |
| جزيرة الدكتور مورو . | 31 | قبضة الشيطان الذهبية . | 12 |
| عرين الدودة البيضاء . | 32 | نداء الأعماق . | 13 |
| رحيق الخنازير . | 33 | القتل دون مقدم أعاب . | 14 |
| وصية الثلاثين ألف دولار . | 34 | سلالة أندروميذا . | 15 |
| العميل . | 35 | الفرفة الحمراء . | 16 |
| ما وراء العالم . | 36 | وادي العناكب . | 17 |
| خلف جدار النوم . | 37 | صورة دوريان جراي . | 18 |
| الغريم الخفي . | 38 | العالم المفقود . | 19 |
| قضية الذئب . | 39 | | |
| الرجل الذي كان الخميس . | 40 | | |

سافارى

صدر من هذه السلسلة :

- | | |
|----------------------------|------------------------|
| 11 - يوم ثارت الوحوش . | 1 - الوباء . |
| 12 - أرض الجنون . | 2 - خاطفوا الأجساد . |
| 13 - تسى تسى ! . | 3 - الحريق . |
| 14 - إنهم يعودون أحياناً . | 4 - رقصة الموت . |
| 15 - الرجل الذى لم يكن . | 5 - تجربة محرمة . |
| 16 - ٩٩٩ . | 6 - أشياء تحدث ليلاً . |
| 17 - دواء يقتل . | 7 - الآن تراه . |
| 18 - عام الأفاعى . | 8 - الكابوس . |
| 19 - الجمجمة . | 9 - الفصيلة . |
| | 10 - العاشر . |

رقم الإيداع : ٢٠٠١/١٠١٩

الترقيم الدولى : X - ٦٤٣ - ٢٦٦ - ٩٧٧